

جامـــعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

ثورات الخوارج في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان

(دراسة اقتصادية – اجتماعية)

(65 –86 هـ / 646 – 705 م)

AL-Khawarij's Revolutions in The Reign of Khalifa Abdulmalak Bin Marwan

(Economic Study – Social)

(646-705)A.D/65-86A.H)

إعداد الطالب

سلطان مبارك العنزي

إشراف الدكتور

محمد صياح العيسى

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ من كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت

الفصل الدراسي الصيفي

2017م

التفويض

أنا الطالب: سلطان مبارك العنزي؛ أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

الاسم: سلطان مبارك العنزي

التوقيع: ....

التاريخ: 8 / 8 / 2017م.

ب

إقرار والتزام

أنا الطالب: سلطان مبارك العنزي الرقم الجامعي:
1570303001

التخصص: ماجستير تاريخ. كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أقرُّ بأنني قد التزمتُ بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول، والمتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه، إذ أن قمت شخصيًّا بإعداد رسالتي الموسومة بــ:

ثورات الخوارج في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان
(دراسة اقتصادية – اجتماعية)
(65 -86 هـ / 646 - 705 م)

AL-Khawarij's Revolutions in The Reign of Khalifa Abdulmalak Bin Marwan
(Economic Study – Social)
(65 - 86 A.H / 646 - 705 A.D)

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية، كما أنني أعلم بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستله من رسائل أو كتب أو أبحاث أو أية منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم، فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك، بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها، وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها، دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيـــع الطالب: ....

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها:

ثورات الخوارج في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان

(دراسة اقتصادية – اجتماعية)

(65 -86 هـ / 646 – 705 م)

AL-Khawarij's Revolutions in The Reign of Khalifa Abdulmalak Bin Marwan

(Economic Study – Social)

(65 - 86 A.H / 646 - 705 A.D)

وأجيزت بتاريخ : / /2017م.

إعداد

سلطان مبارك العنزي

إشراف

الدكتور: محمد صياح العيسى

أعضاء لجنة المناقشة:		التوقيع
الدكتور محمد صياح العيسى	مشرفاً ورئيساً	....
الدكتور موسى الخالدي	عضواً	....
الدكتور النور الخالدي	عضواً	....
الدكتور محمد الصافي	عضواً خارجيا	....

د

الإهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع ، ، ،

إلى الذين بذلوا أعمارهم بذلاً وعطاءً ، ، ،

إلى الذين جادوا بأغلى ما يملكون ، ، ،

إلى أبي وأمي حباً وبراً وطاعة، ، ،

إلى أساتذتي الذين لم يشحوا بالعلم والمعرفة ، ، ،

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع ، ،

الباحث

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان للأستاذ الدكتور محمد صياح العيسى والذي تكــرّمَ بالإشراف على هذه الدراسة، وكان لإرشاداته القيّمة وملاحظاته السديدة أثراً في إتمــام هــذه الرسالة وإخراجها فله مني كل جزيل الشكر ووافر الامتنان.

كما أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى الأساتذة الأكــارم أعضـــاء لجنـــة المناقشـــة المحترمين لقبولهم مناقشة هذه الرسالة، فلهم مني كل المحبة والاحترام لمات بذلوه في قراءتها ووضع ملاحظاتهم السديدة لإثراء هذه الرسالة، كل من حضـــرة الــدكتور الفاضـــل موســـى الخالدي وحضرة الدكتور الفاضل أنور الخالدي والمحكم الخارجي حضـــرة الــدكتور محمــد العناقرة.

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى جميع أساتذتي كلية الآداب والعلوم الإنســـانية في "جامعة آل البيت". وأخص بالذكر أساتذتي الكرام في قسم التاريخ.

الباحث

فهرس المحتويات

الملخص

لما تولى عبد الملك بن مروان سدة الخلافة، وجّه حملة ضد مصعب بن الزبيــر والــي العراق من قبل أخيه عبد الله، واستطاع أن يأخذها منه، وفي ســنة 72ه/691م اســتطاع أن يقضي على عبد الله بن الزبير، ومدّ نفوذه إلى باقي الأقاليم، وجمع الناس على بيعتــه، ومــع ذلك ظل الخوارج همّاً مزعجاً يؤرق الدولة الأموية.

إنه من الصعوبة بمكان أن نجد تعليلاً واضحاً ومحدّداً بشأن نشأة الخوارج، لكن الأمــر المتفق عليه عند القدماء والمحدثين هو أن الخوارج باعتبارهم فرقة دينية وحزباً سياســياً قــد ظهروا بشكل علني وفعّال في حادثة التحكيم المعروفة، وبعد معركة النهــروان التــي قادهــا ضدّهم علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– تفرق الخوارج لفرق عدة بلغ بها بعض كتّــاب الفرق عشرين، وهذا الخلاف بين هذه الفرق لم يكن في أمور خطيرة تؤدي للانشقاق وتكوين فرقة مستقلة، بل إن معظم نزاعاتهم كانت تدور في كثير من الأحيان حول أمور فرعية، ومن أهم هذه الفرق المحكمة الأولى الأزارقة والنجدات والصفرية والأباضية والعجاردة، إن هــذه الدراسة جاءت لتركّز على الخوارج كمادة بحث، وتدرسهم ليس من الناحية السياسية بل مــن الناحية الاقتصادية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الخوارج، الثورات، عبد الملك بن مروان، الدولة الأموية.

الاختصارات المستخدمة

أشير إلى المصادر والمراجع في الهوامش على النحو الآتي:

ترمز الحروف الآتية إلى ما يلي:

ت	الوفاة
هـ	الهجري
م	الميلادي
ق	القرن
ط	الطبعة
ج	الجزء
ص	الصفحة
د. ط	دون طبعة
د. ت	دون تاريخ نشر
د. ن	دون دار نشر
ع	العدد بالنسبة للدوريات
P.	رقم الصفحة بالانجليزي
vol.	رقم الجزء بالانجليزي

مقدمة:

يرى البعض أن بداية نشأة الخوارج لها جذور في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ويعتبرون ذو الخويصرة الذي اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم أول ظهور للخوارج، ويرى البعض الآخر أن مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لا ينطبق إلا على الخارجين على علي رضي الله عنه بسبب التحكيم؛ بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وآراؤها الخاصة، أحدثت أثرًا فكريًّا عقديًّا واضحًا من خلال الثورات التي قاموا بها والأفكار التي تبنوها من الناحية السياسية الشرعية، وكانت هناك دوافع عديدة كانت هي السبب في ثورات الخوارج المتعددة، ولكل فرقة منهم سببه الخاص الذي سوف أحاول أن اتطرق له في هذا البحث، ومنهم من كان جانب الغنيمة والفيء سبب ثورتهم، ومنهم من كان الاضطهاد والظلم الذي وقع عليهم أو على المسلمين في عهدهم، وأغلب ثورات الخوارج يكون لها هذا البعد سواء الاقتصادي أو الاجتماعي، وسوف أحاول أن أبرز هذه الجوانب العديدة في هذا البحث بوضوح.

شكّل الخوارج أحد أبرز تيارات المعارضة في الإسلام، وكان فكرهم السياسي يعبّر عن جمهور واسع من الغاضبين والحانقين على الخلافة، وكان منطلقهم أن الخلافة هي حق متاح لكل مسلم دون إلى أصله أو عصبيته، بينما قصرها أهل السنة على قريش، ومن طرف آخر جعلها الشيعة حكراً على آل البيت.

وعليه فإن ظهور الخوارج كان تعبيراً عن تناقضات اجتماعية واقتصادية اكتسبت مسحة ًدينية نتيجة تفجير تلك التناقضات من خلال مشكلة الإمامة، فالخوارج شكلوا حزباً سياسياً تبنى مبدأ العدالة الاجتماعية كما نادى بها الإسلام.

لقد ثار الخوارج على علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- مراراً وكانوا كثيري الغارات على البصرة والكوفة وفي الولايات الشرقية، وقد قضى علي بكافة حركات الخوارج بشكل عنيف وقاسي، ولعل في معركة النهراون خير دليل على ذلك، وبعد مقتل علي وقد ظل الخوارج يتتابعون في الخروج، ذلك أنه لما استتب الأمر لمعاوية - رضي الله عنه- واجتمعت عليه الكلمة، وكان الخوارج قد اشتعلت جذوتهم وثبت في أذهانهم فكرة الخروج على بني أمية و على رأسهم معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنه- ، فأخذوا في التجمع والتربص للخروج في أي فرصة تتاح لهم؛ إذ كان معاوية في نظرهم مغتصبا للحكم لا شك في قتاله، بل قتاله في نظرهم قربة لله بعكس علي رضي الله عنه، ثم بعد ذلك انضم الخوارج إلى عبد الله بن الزبير الذي ثار على الأمويين في الحجاز والعراق، فحاربوا معه فترةً ثم انقلبوا عليه لأن أفكارهم ومبادئهم لا تتوافق مع آرائه، وما أن قتل ابن الزبير حتى وجد الخوارج أنفسهم وجهاً لوجه مع دولة بني أمية بما لهم من بأس شديد، وبناءً على ما تقدّم فإن هذه الدراسة سوف تختص بثورات الخوارج في فترة عبد الملك بن مروان، مع التأكيد على أننا ننظر لهذه الثورات من جانب اجتماعي واقتصادي.

وفي هذا الأطروحة سأتطرق لثورات الخوارج في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان ، مع التأكيد على ابراز البعد الاقتصادي والاجتماعي فيها، بدايةً من ثورة عبدالله ابن قيس الخارجي الملقب بأبي فديك عندما استولى على البحرين، وارسل عبدالملك جيشاً بقيادة محمد بن موسى عمر بن عبيد الله لقتاله، وبعدها أمر الخليفة عبدالملك أخاه بشراً لقتال ما تبقي من الخوارج الأزارقة الذين كانوا بقيادة قطري ابن الفجاءة، فانتدب المهلب بن أبي الصفرة لقتالهم مع أهل الكوفة، فقاتلهم المهلب ثمانية عشر شهراً قتالاً شديداً حتى اختلفوا فيما بينهم وفارقوا قطري ابن الفجاءة، بعد أن قتل عامل قطري أحداً منهم ورفض تسليمه لأهل الدم وتعذر له

قطري بأنه متأول في القتل فرفضوه وبايعوا عبد ربه الكبير، فقاتله المهلب قتالا شديداً حتى أنه قال ما مر علي مثل هذا اليوم من شدة القتال.

وبعدها خرجت فرقة أخرى من فرق الخوارج التي تنسب لهم الصفرية بقيادة صالح بن مسرح وشبيب بن يزيد الشيباني وهي من أقوى ثورات الخوارج في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان، حيث ألحق بجيوشهم العديد من الهزائم الساحقة، وأيضا من خلال ما تبنوه من أفكار ومعتقدات جديدة لم يسبقهم أحدا من فرق الخوارج وخصوصا في إمامة المرأة ، وقبل القضاء على شبيب سأل مطرف ابن المغيرة أصحاب شبيب عن سبب خروجهم، فأجابوه ما نقمنا على قومنا إلا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود، فقال ما دعوتم إلا للحق.

بناء على ما سبق ستحاول الدراسة دراسة وتبيان الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في ثورات الخوارج في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وأثرها في أحداث تاريخ الدولة الأموية، متبعاً المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدارسة.

أما بالنسبة للخطة التي سرت عليها في الدراسة فقد تمثلت بتقسيم الدراسة إلى خمسة فصول، الفصل الأول عن نشأة الخوارج، ومبدأ أمرهم، وعرضنا لتباين الآراء حول نشأتهم، وفي نفس الفصل طرقت مبادئ الخوارج زمن علي بن أبي طالب– رضي الله عنه–، والتي يبدو أن للأحداث دور في تطورها، أما الفصل الثاني فكان تحت مسمى ثورات الخوارج في عهد عبد الملك بن مروان، وكانت الأبرز في هذه الفترة أربع ثورات هي ثورة عبد الله بن ثور الخارجي وثورة قطري بن الفجاءة وثورة عبد ربه الكبير وثورة صالح بن مسرح، ثم يأتي الفصل الثالث بعنوان المهلب بن أبي صفرة، ذلك القائد الذي أرهق الخوارج وكان اليد الحديدية التي تضرب بها الدولة الأموية، فقد تطرقت لسيرته وعلاقته مع الحجاج، وكذلك ما قيل فيه من أشعار، أما الفصل الرابع فكان عن التطورات الاجتماعية في العصر الأموي،

وأخيراً الفصل الخامس عن التطورات الاقتصادية في العصر الأموي، أما الخاتمة فقد أوجزت فيها النتائج التي توصلت إليها الدراسة، كما احتوت الدراسة على قائمة بالمصادر المطبوعة، والمراجع والبحوث العربية والأجنبية التي أسهمت في مجموعها في بناء هيكل البحث وما توصل إليه من نتائج.

دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة مختلفة من المصادر التي تشكل مادتها ركناً أساسياً في هذه الدراسة، وسيكون التركيز هنا على قيمة كل مصدر من المصادر بمقدار ما يوضح دور الخوارج، وكل ما يتعلق بنشاطهم السياسي والاقتصادي والعسكري.

1. كتاب "الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، المعروف بالمبرد إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد سنة (286هـ/899م)، ومع أن الكتاب كان اهتمامه اللغة لا البلاغة والنقد وليس التاريخ، فقد قدّم فيه صورًا من الرسائل النثرية التي ارتقت صناعتها في تلك العصور، ومن خلال هذه الرسائل رصدنا كل مراسلات الخوارج الداخلية بينهم والخارجية مع الدولة الأموية، ولا أبالغ إن قلت أن هذا الكتاب هو العماد الرئيس لهذه الأطروحة.
2. كتاب تاريخ الرسل والملوك للإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310 هـ /922م) وقد غطى الطبري أغلب الوقائع التاريخية في فترة صدر الإسلام وتحدث بإسهاب عن الفترة الأموية – موضوع الدراسة–، ويعتبر كتابه من المصادر الأصلية لتاريخ الفترة موضوع البحث، لأن الطبري يروي أحداثاً كان معاصراً لها وأخرى وصلت إليه عن طريق الرواية ويتسم تاريخه بالإفاضة في تناول الأحداث.
3. كتاب الأخبار الطوال لأحمد بن داود الدينوري، وهو من علماء المسلمين الذين أحبوا الرحلات، حيث زار كثيرًا من بلاد العرب مثل: المدينة المنورة، وبغداد وفلسطين، عُرف الدينوري بتفوقه في علم النبات؛ حيث أسسه على التجربة والاستنتاج، وقضى حياته في البحث والتأليف والتعليم، توفي في همذان سنة 281 هـ /894م، وجه فيه عناية خاصة إلى المسائل التي يهتم بها الفرس اهتماماً شديداً، وأمدّنا بأخبار مفصلة عن تاريخ الإسكندر،

ودولة الساسانيين، وفتوح العراق، وما وقع بين علي و– رضـي الله عنهما– ، وأخبار الخوارج، ومقتل الحسين وفتن الأزارقة، وفتنة المختار، وسقوط الأمويين، وأراد بالأخبار الطوال الأحداث البارزة في التاريخ، والتي شغلت من الزمن حيزاً، وهذا الكتاب دخل في كل فصول الرسالة وأفادها.

4. كتاب المعارف لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينورِي، عالم وفقيه وأديب وناقد ولغوي، موسوعيٌّ المعرفة، ويعد من أعلام القرن الثالث للهجرو. ولد بالكوفة، ثم انتقل إلى بغداد، حيث استقر علماء البصرة والكوفة، فأخذ عنهم الحديث والتفسير والفقه واللغة والنحو والكلام والأدب والتاريخ.

5. كتاب أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، وهو مؤرخ وجغرافي ونسابة، من أهل بغداد توفي سنة (279 هـ /892م) جالس المتوكل العباسي، ومات في أيام المعتمد، وله في المأمون مدائح، وكان يجيد الفارسية وترجم عنها، وكتابه أضخم موسوعة وصلتنا في أنساب قبائل مضر وأخبارها، وأراد بالأشراف من شرف بنفسه، ولو لم يكن آباؤه شرفاء، وهو كتابُ تجميع وليس بكتاب تحقيق، وقد أفاد الدراسة في كثير من الفصول.

6. كتاب الفتوح لأحمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي، مؤرخ من أهل الكوفة توفي سنة (314 هـ /926م)، انتهى في كتابه إلى أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد، وكان هذا الكتاب مصدراً ثقةً لكل الانتصارات التي حققها الأمويون على الخوارج، وأحرزوا فيها انتصارات عليهم.

7. كتاب تاريخ خليفة بن خياط، لأبي عمرو خليفة بن خياط بن خليفة، وهو محدث نسابة إخباري توفي سنة (240 هـ /854م)، وهو مصدر ثقة بالنسبة للتاريخ السياسي ويعادل

في قيمته كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري، وقيل عنه أنه كان مستقيم الحديث، من متيقظي رواته، وهو من أهم مصادر الدراسة.

8. كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346 هـ /957م) وكان المسعودي من المعتزلة وتجول في طلب العلم فطاف أكثر أجزاء العالم الإسلامي، وقضى الجزء الأخير من حياته في بلاد الشام ومصر حيث ألّف كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وهو كتاب تاريخي جغرافي عظيم القيمة لم يكتف فيه المؤلف ببحث الموضوعات التي اعتادها المؤرخون المسلمون، بل تطرق إلى تواريخ الهند والفرس والروم واليهود فأتى منها بأشياء طريفة حتى أطلق الكتّاب على المسعودي اسم (هيرودوت التاريخ)، وقد تعرض المسعودي في كتابه للكثير من أحداث التاريخ الأموي، وذكر عن حروب الخوارج وصراعاتهم مع الدولة الأموية.

9. كتاب الكامل في التاريخ لمحمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت630 هـ /1232م) وقد بدأه من أول الزمان إلى انتهاء سنة (628 هـ /1230م) وابن الأثير من المصنفين الذين لهم باع طويل في التصنيف التاريخي، وقد جمع منهجه بين التاريخ الحولي والتاريخ الموضوعي، وقد أفاد الدراسة في ما يتعلق بالتاريخ السياسي للخوارج، ويعد كتابه الرديف والمساند لكتاب الطبري.

10. كتاب الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت356 هـ /966م) والأصفهاني من أئمة الأدب، الأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي ولد في أصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد، وقد أفدت في ذكر النوادر التي قلما نجدها عند غيره من المؤرخين.

11. كتب المعاجم اللغوية مثل كتاب لسان العرب لمحمد بن مكرم المعـروف بـابن منظـور (ت711 هـ /1311م) وكتاب القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقـوب للفيـروز آبادي (ت817ه/1414م) وكتاب تاج العـروس لمحمـد بـن عبـد الـرزاق الزبيـدي (ت1205 هـ /1790م) وكتاب المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون وهو مـن الكتب الحديثة.

12. كتـاب وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان لأحمـد بـن محمـد بـن خلكـان (ت681 هـ /1282م) وهو من كتب التراجم المهمة وأفرد فيه صاحبه حيـزاً كبيـراً للأعلام في الدولة الأموية، وتعد تلك التراجم من أوسع التراجم وأكثرها فائدة بين الكتب التي ترجمت لهؤلاء.

13. كتاب سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد الذهبي (ت748 هـ /1348م) وهو كتاب كبير من عدة مجلدات تناول فيه المؤلف الكثير من الشخصيات وقد ضمنه روايات لم يودعها التاريخ، وتوسع في بعض تراجمه، إلا أنه لم يضف تراجم جديدة، سوى التي في الـذيل وقد أفدت منه كثيراً في الدراسة.

14. كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ/1229م) ويعتبر كتاب معجـم البلـدان كتاب جغرافي تعرض فيه المؤلف لبيان الأقاليم الجغرافية وما تحتوي عليه مـن مـدن، وقد أفادت الدراسة منه في التعريف بالمدن وتحديد مواقعها.

تمهيد

بنو أمية وتأسيس الدولة الأموية

يُنسب الأمويون إلى أمية الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وهم ينتمون إلى قبيلة قريش ذات المكانة المعروفة في التاريخ في مكة قبل ظهور الإسلام وبعده(1)، وكان لعبد شمس والد أمية دور في خدمة قريش وتحسين علاقاتها الخارجية مع العالم الخـــارجي، فقــد تمكن بما لديه من سمعة ونفوذ من أن يحصل على إيلاف(2) قريش من النجاشي في الحبشـــة، وحصل إخوته من أبناء عبد مناف على عهود من ملوك العراق والشام واليمن(3).

وكان أمية يتميز بكثرة عدد أبنائه فقد أنجب اثنا عشر ولداً، ولذلك قيل عنه : فيه البيــت والعدد(4)، وكان من أشهر أبنائه أبو العاص، وقد كان من حكماء قريش وشــعرائهم(5)، ومــن أبنائه عفّان (أبو عثمان بن عفان رضـــي الله عنـــه ثالــث الخلفـــاء الراشـــدين)، والحكــم

(1) البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية (ت245هـ/860م) المنمق في أخبار قريش، ط1، تحقيق خورشــيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت 1985 ص337.

(2) الإيلاف هو العهود التي كانوا يأخذونها إذا خرجوا في التجارات، فيأمنون بها، وأصحاب الإيلاف أربعة إخوة: هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل، بنو عبد مناف. الزبيــدي، محمــد بــن عبــد الــرزاق الحسيني(ت1205هـ/1790م) تاج العروس من جواهر القاموس، ج23، تحقيق المجموعة، دار الهداية ، القاهرة،1965 ص32.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص59-62.

(4) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت456 هـ /1063م) جمهرة أنساب العرب، ط1، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت 1983 ص309.

(5) الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت236 هـ /851م) نسب قريش، ط3، ج1، تحقيق ليفـــي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة 1951 ص99.

(أبو مروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين)، وصفية زوجة أبي سفيان وأم ابنته رملة[1] زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما الولد الثاني لأمية فكان حرب بن أمية وهو والد كل من أبي سفيان صخر بن حرب، وأم جميل بنت حرب (حمّالة الحطب امرأة أبي لهب)، وآلت إلى حرب زعامة قومه بعد وفاة والده، وصارت إليه رئاسة قريش بعد وفاة عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ووصف حرب بأنه رجل بعيد الغضب، رفيع الصيت في العرب، جلد المريرة، تحبّه العشيرة[2].

ولا أريد أن أسهب في الحديث عن بني أمية في فترة قبل الإسلام، وسأنتقل لفترة ما بعد ظهور الإسلام، فبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ /632م استمر خلفاؤه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في الاستعانة ببعض بني أمية في أعمالهم، فقد أثبت أبو بكر عتاب بن أسيد على مكة، وبعث خالد بن سعيد بن العاص في حملة استطلاعية إلى أرض الشام، فقتل ومعه أخوه عمرو في اشتباكه مع البيزنطيين في موقعة مرج الصفر[3]، قرب دمشق سنة 13ه/634م، وعيّن يزيد بن أبي سفيان أميراً على أحد الجيوش المتوجهة لفتح بلاد الشام، فانتصروا على البيزنطيين في موقعة أجنادين[4] بفلسطين سنة 13 هـ /634م، ولما

---

(1) رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية، من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي أخت معاوية، كانت من فصيحات قريش، ومن ذوات الرأي والحصافة. تزوجها أولا عبيد الله بن جحش وهاجرت معه إلى أرض الحبشة (في الهجرة الثانية) ثم ارتد عبيد الله عن الإسلام، فأعرضت عنه إلى أن مات، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبها وعهد للنجاشي (ملك الحبشة) بعقد نكاحه عليها، توفيت سنة 44 هـ /664م. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج69، ص130.

(2) البغدادي، المنمق في أخبار قريش، ص92.

(3) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ط2، دار التراث، بيروت 1977 ص391.

(4) أجنادين من أرض فلسطين، بين الرّملة وجيرون. البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487 هـ /1094م) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، ج1، عالم الكتب، بيروت 1983 ص114.

احتاج يزيد إلى قوة إضافية فقد بعث بها الخليفة إليه، وجعلها تحت إمـرة معاويـة[1]، وكـان والده أبو سفيان يرافق ذلك الجيش.

وفي فترة خلافة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- 13-23 هـ /634-643م شارك أبو سفيان وولديه يزيد ومعاوية في معركة اليرموك ضد الروم سنة 14ه/636م وأبلـوا فيهـا بلاءً حسناً، ثم عيّن عمر يزيد والياً على جند دمشق، وتوفي يزيد بسـبب طـاعون عمـواس بفلسطين سنة 19 هـ /640م فأثبت عمر معاوية مكانه[2]، وفي عهـد عثمـان بـن عفـان 23-35 هـ /643-656م كان هناك عدد من بني أمية تولوا مناصب في الدولة الإسـلامية، فإقليم الشام وإقليم الجزيرة الفراتية كان تحت إمرة معاوية، والكوفة كانت تحت إمرة الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ثم عزله وعيّن عليها سعيد بن العاص[3]، وعيّن مروان بن الحكـم كاتبـاً له[4]، وظلّ الأمر كذلك حتـى مقتـل عثمـان وتـولّي علـي بـن أبـي طالـب الخلافـة - رضي الله عنه-.

ولما تولّى علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- بدأ عهـده 35 هـ /656م بإصـدار أوامره بعزل من كان قبله من الولاة، فأطاعوا جميعهم إلا معاوية بن أبي سفيان- رضـي الله عنه-، الذي رفض أوامر الخليفة في بلاد الشام، وأرسل جنوده لمنع العامل الجديد الذي عيّنـه علي من دخول الشام، فلقيته خيل معاوية عند تبوك وأرجعته إلى المدينة[5]، هذا وقـد طلـب

---

(1) ابن خياط، أبو عمر خليفة العصفري (ت240 هـ /854م) تاريخ خليفة بن خياط، ط2، تحقيق أكـرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، دمشق 1977 ص119.
(2) الزبيري، نسب قريش، ج1، ص126.
(3) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص178.
(4) ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم (ت630 هـ /1233م) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت 1994 ص139.
(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص93-94.

معاوية من علي أن يبقيه والياً على بلاد الشام مقابل البيعة له، وكان مما جاء في طلبه الـذي سلّمه إلى جرير بن عبد الله البجلي، مبعوث علي : " أن يجعل إلي الشام ومصر جباية، فـإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بيعة في عنقي، وأسلم له هذا الأمر، وأكتب إليه بالخلافة، ولكـن علياً رفض طلب معاوية هذا[1]، وتفيد إحدى الروايات أن المغيرة بن شعبة الثقفي قـد نصـح علياً بأن يترك معاوية على بلاد الشام، لأن لمعاوية جرأة، وهو في أهل الشام يُسمع منه، ولك حجة في إثباته، قد كان عمر ولّاه الشام كلها، ولكن علياً أصرّ على رفضه قـائلاً: " لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً[2].

ثم أخذ معاوية- رضي الله عنه- في حث أهل الشام للوقوف إلى جانبه، ولما تـم لـه طلب جرير بن عبد الله البجلي مبعوث علي إليه وقال له: " يا جرير الحق بصاحبك، وأعلمـه أني وأهل الشام لا نجيبه إلى البيعة[3]، فكان ذلك إعلاناً للحرب بينهما.

وجهّز علي ومعاوية جنودهما، وتولّى كل منهما قيادة جيشه، وتحرك كل منهمـا أيضـاً قاصداً إقليم الآخر، فكان أن التقى الجيشان في سهل واسع منبسط من أرض صفين، وعسـكر الطرفان هناك حوالي ثلاثة أشهر، وكانت رسل الصلح تتردد خلالها بين الطرفين، ولكنها لـم تكن ناجحة، واشتبك الطرفان في صفر 37 هـ /تموز 657م فيما عرف بليلة الهريـر فـي معركة دامية استمرت عدة ساعات، وكان النصر قريباً من جماعة علي، لـولا أن قـام أهـل الشام برفع المصاحف[4]، وسارت الأمور إلى أن اختار كل من الطرفين حكماً، فاختار أهـل

---

(1) المنقري، نصر بن مزاحم (ت212 هـ /827م) وقعة صفين، تحقيق عبـد السـلام هـارون، مكتبـة الخانجي، القاهرة 1987 ص52.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص441.

(3) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت281 هـ /894م) الأخبار الطوال، ط1، تحقيق عبد المنعم عامر مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة 1960 ص160.

(4) الدينوري، الأخبار الطوال، ص189.

العراق أبا موسى الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص نائباً عــنهم فــي التحكــيم، واجتمع المندوبين في دومة الجندل، وكان يرافق كل منهما حوالي 400 رجل مــن مختلــف القبائل[1].

أما ما يخص محاضر جلسات التحكيم وما دار بين الحكمين من مناقشــات ومــداولات، وما أسفرت عنه من نتائج فأمرها غامض، وكل ما تتحدث عنه المصادر التاريخيــة أن أبــا موسى الأشعري وعمرو بن العاص قد اجتمعا، ومكثا أياماً يلتقيان سراً وجهراً، ثــم اتفقــا أن يخرجا للناس ويعلنا لهم عن خلع معاوية وعلي، وأن يُترك الأمر شورى بين الناس، فقام أبــو موسى وأعلن عن خلع الاثنين، ثم تبعه عمرو وأعلن على موافقته عن خلع علي، ولكنه أصر على تثبيت معاوية مما أدى إلى أن يتخاصم الاثنان ويعود عمرو مسرعاً إلى معاوية، لكن أبــا موسى وقد أدرك أنه خُدع لم يستطع مواجهة علي، فركب ناقته ولحق بمكة[2]، وعلى كل حال فإن هذه الروايات لا تقدم للباحث أدلة كافية تجعله يستنبط حكماً قطعياً على ما جرى، إلا أننــا نرى أن المؤرخ خليفة بن خياط هو أقرب المؤرخين إلى الصواب فهو يشير في روايته إلــى ما يجعلنا نعتبره ملخصاً فيقول: لم يتفق الحكمان على شيء"، مما اجتمعا لأجله[3].

وبعد التحكيم تتسارع الأحداث، فينشغل علي بمواجهة بعض المشــاكل الداخليــة التــي سببتها له فئة من أعوانه، كانوا قد رفضوا الانصياع لأوامره، وخرجوا من عســكره فعرفــوا فيما بعد بالخوارج، فحاربهم علي في موقعة النهروان سنة 37 هــ /658م ولكــن لــم يــتم القضاء على قوتهم بشكل تام، وثانية المشاكل التي واجهها علي تتمثل في رفض أحــد كبــار

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص66-67.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص197. ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت328 هـ /940م) العقد الفريد، ج5، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1984 ص93 وما بعدها.

(3) ابن خياط، أبو عمر خليفة العصفري (ت240 هـ /854م) تاريخ خليفة بن خياط، ط2، تحقيق أكــرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، دمشق 1977 ص192.

قادته وهو الأشعث بن قيس الكندي الذهاب لقتال أهل الشام عقب موقعة النهروان، وكان مما قاله الأشعث : " يا أمير المؤمنين، نفدت نبالنا، وكلت سيوفنا، ونصلت أسنه رماحنا، فارجع بنا الى مصرنا، لنستعد بأحسن عدتنا"[1]، وكان لهذه المواقف تأثير سلبي على علي في مواجهته لخصومه.

أما معاوية فقد استفاد مما كان علي يواجهه من مشاكل، فأرسل قواته وعليها عمرو بن العاص نحو مصر، واستطاع عمرو الاستيلاء عليها ومن ثم وليها لمعاوية سنة 39 هـ /660م[2]، وفي محاولة أخرى لإشغال علي وعدم إعطائه فرصة كافية لتنظيم قواته، فقد وجّه معاوية فرقاً من قواته لتغير على بعض المواقع في العراق، كما وجّه فرقاً أخرى إلى مدن في الحجاز، وكذلك نجران وصنعاء وعدن، لكن قوات علي تمكنت من التصدي لقوات معاوية وطردها، ومع ذلك فإن علي لم يتمكن من حسم الموقف نهائياً لصالحه[3].

وفي هذه الأثناء اغتيل الخليفة على يد أحد الخوارج في 17 رمضان 40 هـ / 660م وبويع لولده الحسن بالخلافة من قبل أعوان والده، لكن الحسن ما لبث أن وجد نفسه في موقف صعب معهم، فالتقى بمعاوية في الكوفة، وبايعه بالخلافة على شروط تختلف المصادر التاريخية في تحديدها[4]، وبايعه الحسين بن علي كذلك، وبعد أن رتّب معاوية الأمور الإدارية في الكوفة والبصرة، وعيّن ولاته عليهما، رجع إلى دمشق ومنها إلى بيت المقدس، حيث بويع له بالخلافة في سنة 41 هـ /661م، وكان ذلك يعني قيام الدولة الأموية واتخاذ دمشق عاصمة لها[5].

---

(1) الدينوري، الأخبار الطوال، ص211.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص135.
(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص195.
(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص41-47. الدينوري، الأخبار الطوال، ص218.
(5) المنجد، صلاح الدين، معجم بني أمية، دار الكتاب الجديد، بيروت 1970 ص168-174.

ولا بد أن نشير إلى أن هناك عدة عوامل تضافرت مع بعضها وأسهمت في تأسيس الدولة الأموية، ومنها كفاءة معاوية الشخصية، وما تجمّع لديه من خبرات سابقة وتجارب واسعة في حياته العملية، بحيث مكّنته من القدرة على التعامل مع مختلف الفئات، والتفاعل مع أدق الحوادث، ومنها أيضاً الولاء المطلق والطاعة العمياء، والنصرة غير المحدودة التي قدّمها أهل الشام لمعاوية في كل مراحل الخلاف[1].

---

(1) العقيلي، عمر، قيام الدولة الأموية وموقف أقاليم الجزيرة العربية منها، مقالة ضمن كتاب دراسات تاريخية، ج1، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض 1993 ص109-176.

الفصل الأول

نشأة الخوارج

الخوارج لغةً: الخوارج مأخوذة من الخروج مصدر خرج، ولهذا الأصل تصاريف عدة، رجع بها ابن فارس إلى معنيين، الأول النفاذ عن الشيء والثاني اختلاف لونين[1]، فمن الأول الخراج والخرج : الإتاوة فهو مال يخرجه المعطي، ومنه الخارجي وهو الرجل المسود بنفسه من غير أن يكون له قديم، كأنه خرج بنفسه[2]، ومنه قول كثيّر عزة:

أبا مروان لست بخارجي ... وليس قديم مجدك بانتحال[3]

ومن الثاني: الخرج: لونان من سواد وبياض، ومنه أرض مخرجة إذا كان نبتها في مكان دون مكان[4].

الخوارج اصطلاحاً: يتفق عدد من الباحثين على أن الخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب– رضي الله عنه–، في حروراء والنهروان ومن انتمى إليهم بعد[5]، أما الشهرستاني في كتابه الملل والنحل فيأتي بتعرف عام فيقول: " كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان.

---

(1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ/1004م) معجم مقاييس اللغة، ط1، ج2، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت 1979 ص175.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص175.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711 هـ /1311م) لسان العرب، ط3، ج2، دار صادر، بيروت 1994 ص250.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص176.

(5) الشنتاوي، دائرة المعارف الإسلامية، ج8، ص469–470.

يربط بعض المؤرخين نشأة الخوارج بحادثة الاعتراض على توزيع غنائم خيبر، وقول رجل اسود للنبي صلى الله عليه وسلم :" ما عدلت منذ اليوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سيكون لهذا وأصحابه نبأ، وفي رواية أخرى أن النبي قال : لو قتل هذا ما اختلف اثنان في دين الله[1]، ويورد المبرد حادثة أخرى حيث اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي: " إنه سيكون من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، تنظر في النصل فلا ترى شيئاً، وتنظر في الرصاف فلا ترى شيئاً، وتتمارى في الفوق[2]، ويضيف المبرد أن النبي قد وصف هؤلاء القوم أن سيماهم التحليق، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، علامتهم رجل مخدج اليد[3]، وقد بحث علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- عن هذا المخدّج في وقعة النهران، فلما لم يجده قال : والله ما كذبت ولا كذّبت إلى أن وجده فخرّ ساجداً[4].

وذكر الشهرستاني حادثة الاعتراض على النبي ولكن المعترض هنا يُكنّى بأبي الخويصرة[5]، وقد قال النبي عن أهل النهروان حسب ما يورد الشهرستاني: " تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم، وصوم أحدكم في جنب صيامهم، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم" [6]، ويضيف الشهرستاني أن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير البجلي، وإلى هذا يشير البغدادي

---

(1) المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (ت286 هـ /899م) الكامل في اللغة والأدب، ط3، ج3، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة 1997 ص140.

(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص141.

(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص162.

(4) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص163. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ /922م)، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ط2، دار التراث، بيروت 1977 ص92.

(5) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت548 هـ /1153م) الملل والنحل، ج1، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1976 ص116.

(6) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص115.

البغدادي في قوله: حرقوص بن زهير البجلي العرني المعروف بذي الثدية[1]، وقد بحث عنه أصحاب علي بعد وقعة النهروان فوجدوه تحت دالية ورأوا تحت يده عند الابط مثل ثدى المرأة فقال صدق الله ورسوله وأمر فقتل.........." [2].

أما ابن عبد ربه فقد أورد حادثة مماثلة تنتهي بقول النبي لأصحابه: "هذا أول قرن يطلع في أمتي، لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنان.." [3]، وقصة الصحابي العباس بن مرداس وأبياته التي يعاتب بها النبي يعترض بها على قسمة سبايا حنين وهي:

أيذهب نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والأقرع

ولا كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت غير امرئ منهم ... ومن تضع اليوم لم يرفع[4].

أما بالنسبة للمؤرخين المحدثين فيعتبر نايف معروف أن حركة الخوارج هي امتداد للثورة على الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان، وبخاصة بعد أن أدرك الثائرون أن علياً لن يكون مطيةً لأهوائهم[5]، وجاء شوقي ضيف ليؤيد نفس الفكرة السابقة قائلاً: (فالذين ثاروا ثاروا على عثمان من أهل العراق وشاركوا في قتله يمكن أن نعدّهم مقدمة هذا الحزب ونواته

---

(1) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429 هـ /1037م) الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت 1977 ص57.

(2) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص61.

(3) ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت328 هـ /940م) العقد الفريد، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1984 ص245.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص233. البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت1093 هـ /1682م) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط4، ج1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1997 ص153.

(5) معروف، نايف محمود، الخوارج في العصر الأموي، ص55.

الأولى) [1]، أما المستشرق فلهاوزن فيرى أن طبقة القرّاء هم التربة التي نبتت فيها فكرة الخوارج وأن قصة ذي الثدية أسطورة لا أساس لها من الصحة[2].

في البداية لا بد من الرجوع إلى ما قبل حادثة التحكيم، فلقد وصلت الأمور بين الخليفة عثمان بن عفان والثوّار إلى درجة لم يعد فيها بإمكان أي منهم التراجع عن موقفه، فالثوار عدّوا على عثمان مآخذ كثيرة أجملها صالح بن مسرح لاحقاً في قوله : (استأثر بالفيء، وعطّل الحدود، وجار في الحكم، واستذل المؤمن، وعزّ المجرم) [3]، وعندما طلبوا منه التنحي عن الخلافة رفض ذلك متمسكاً بحقه الإلهي فهو لا يخلع قميصاً ألبسه إياه الله [4].

وفي صفين تدور رحى الحرب سجالاً إلى أن تظهر علامات النصر المؤدة لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه-، وهنا يبرز دور الساعد القوي لمعاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنه- وهو عمرو بن العاص في قضية التحكيم.

لم يظهر الخوارج إلا بعد حادثة التحكيم حيث فارقوا الجماعة وانحازوا إلى حروراء[5] ونصّبوا شبث بن ربعي التميمي ليكون أميراً عليهم للقتال، وعينوا عبد الله بن الكوّاء اليشكري أميراً للصلاة، وأعلنوا أن الأمر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل، وشبّهوا هجرتهم من الكوفة إلى حروراء بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المدينة[6]، ورغم اتخاذ الخوارج هذا الموقف العدائي من أمير المؤمنين وجماعة المسلمين، فإن الخليفة علياً حاول

---

(1) ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط6، دار المعارف، القاهرة ص87.
(2) يوليوس فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ص36 وما بعدها.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص217.
(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص372.
(5) حروراء هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فنسبوا إليها. الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626 هـ /1229م) معجم البلدان، ط2، ج2، دار صادر، بيروت، 1995 ص245.
(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص678.

جاهداً أن يقنعهم بالرجوع إلى صوابهم فبعث إليهم عبد الله بـــن عبـــاس رضـــي الله عنهمـــا ليناظرهم، وحينما سألهم ابن عباس عن الأسباب التي دفعت بهم إلى مفارقة معســكر الخليفــة فقالوا بأنهم نقموا عليه لثلاثة أمور:

أولا: أنه بقبوله التحكيم قد حكّم الرجال في أمر الله الذي يقول عنه تعالى: (إن الحكم إلا لله) فأخطأ بهذا وكان ينبغي أن يستمر في القتال.

ثانياً: أنه قاتل أصحاب الجمل وقتلهم، وفي نفس الوقت لم يسبهم ولم يأخذ غنائمهم بــل إنــه نهى عن قتل مُدبرهم والإجهاز على جريحهم وقسمة أموالهم وذراريهم، وقال الخـــوارج إنــه ليس في كتاب الله إلا مؤمن أو كافر، فإن كان هؤلاء مؤمنين لم يحل قتالهم وإن كانوا كفـــاراً أبيحت دماؤهم.

ثالثـــاً: أن علياً بقبوله التحكيم قد محا نفسه عن إمرة المؤمنين[1]، وفي رأيهم أنه إن لـــم يكـــن أمير المؤمنين فإنه أمير الكافرين[2].

وقد وضّح لهم ابن عباس خطأهم في هذه الأمور وما استنتجوه من نتائج وما بنوه عليها من أحكام، وذكر لهم أن الله أوجب التحكيم في أمور هي أهون من حقن دماء المسلمين كحالـــة الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما، إذ ورد في القرآن الكريم (فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِـــنْ أَهْلِهَا) [3]، وأيضاً قوله تعالى (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) [4]، كما أمر تعالى أن يحكـــم في الصيد بجزاء (مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) [5]، فمن أنكر التحكيم مطلقـــاً

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص64-66. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص689.

(2) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597 هــ /1201م) تلبيس ابلـــيس، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 2001 ص82.

(3) سورة النساء، الآية 35.

(4) سورة النساء، الآية 35.

(5) سورة المائدة، الآية 95.

فقد خالف كتاب الله، وذكر ابن عباس أن التحكيم في أمر أميرين لأجل حقن دمـــاء المســـلمين أولى من التحكيم في أمر الزوجين والتحكيم لأجل الصيد، أما بالنسبة للقضية الثانية فقد أشـــار ابن عباس إلى أنه كان من ضمن القوم المقاتلين في معركة الجمل أم المؤمنين عائشـــة، فهـــل يسبي الخوارج أمهم؟ أم ينكرون أنها أمهم؟ وقال لهم ابن عباس: (فو الله لئن قلتم ليست بأمنـــا لقد خرجتم من الإسلام والله لئن قلتم نسبيها نستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم مـــن الإسلام، فأنتم بين الضلالتين إن الله عز وجل قال (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) [1]، وخطأ الخوارج في هذه المسألة كما يقول الإمام الشوكاني في نيل الأوطار ظنهم أن من كان مؤمناً لم يبح قتاله بحال وهذا خلاف القرآن الذي وصف الفئات المتقاتلة بالإيمـــان في قوله تعالى (إِنْ طَائِفَتَانِ مِـــنَ الْمُـــؤْمِنِينَ اقْتَتَلُـــوا فَأَصْـــلِحُوا بَيْنَهُمَـــا) [2] وقولـــه تعـــالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) [3]، فأخبر الله تعالى بأنهم مؤمنون مقتتلون، ودلّ القرآن على إخوتهم وإيمانهم مع وجود الاقتتال والبغي وأنه يأمر بقتال الباغية حيث أمـــر الله به [4].

وأما قولهم بأن علياً محا نفسه من أمير المؤمنين فقد ردّ عليهم ابن عباس: (أنا آتـــيكم بمن ترضون، يوم الحديبية، كاتب المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو فقـــال: يـــا علي اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال المشـــركون: والله لو نعلم أنك رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ما قاتلناك، فقال رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم: اللهم إنك تعلم أني رسولك، امح يا علي اكتب: هذا ما كاتب عليه محمد بن عبد الله، فو

---

(1) سورة الأحزاب، الآية 6.

(2) سورة الحجرات، الآية 9.

(3) سورة الحجرات، الآية 10.

(4) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت1250 هـ /1834م) نيل الأوطار، ط1، ج7، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، 1993 ص199 وما بعدها.

الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم خير من علي، فقد محا نفسه) [1]، وبهذه الحجـــج القويـــة التي أوردها ابن عباس استطاع أن يرجع كثير من الخوارج إلى طريق الحق والصواب، وأود أن أشير هنا إلى أن البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق نسب هذه المناظرة إلى علي بن أبـــي طالب- رضي الله عنه- [2]، ويقال أنه لما عاد ابن عباس إلى علي سأله عـــن الخـــوارج إن كانوا منافقين، فقال ابن عباس: (والله ما سيماهم بسيماء المنـــافقين، إن بـــين أعيـــنهم لأثـــر السجود وهم يتأوّلون القرآن) [3]، وقد أطمع هذا علياً في إقناعهم وهدايتهم فخرج إليهم بنفسه، وذكّرهم بموافقتهم السابقة على الهدنة، وكيف أنهم هم الذين حملوه على قبول التحكـــيم علـــى كره منه، فاعترفوا بذلك قائلين إنهم أذنبوا بذلك وتابوا وطلبوا منه أن يفعل ذلك، وأخيراً عادوا معه إلى الكوفة وأشاعوا بين الناس أن علياً رجع عن التحكيم وتبيّن له خطؤه، فلما كذّبهم علي في زعمهم هذا خرجوا عليه ثانية وأصبحوا يرددون " لا حكم إلا لله" فقال علـــي: (الله أكبـــر، كلمة حق يلتمس بها باطل! أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صـــحبتمونا: لا نمـــنعكم مســـاجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبـــدؤونا، ثـــم رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته) [4].

---

(1) الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان (ت277 هـــ /890م) المعرفة والتاريخ، ط2، ج1، تحقيق أكـــرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981 ص524.

(2) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429 هـــ /1037م) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1977 ص58-59.

(3) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت656 هـــ /1258م) شرح نهج البلاغة، ج2، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ص310.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص73. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص685. ابن أعثم، أحمد بن محمد بن علي (ت314 هـــ /926م) الفتوح، ط1، ج4، تحقيق علي شيري، دار الأضـــواء، بيروت 1991 ص251.

وقبل أن يحين موعد التحكيم جاء بعض الخوارج إلى علي طالبين منه الرجـوع عـن التحكيم والعودة إلى القتال، بعد أن يعلن توبته عن خطيئته، فلم يجبهم إلى ذلك مؤكـداً أنـه لا يخلف العهد والميثاق، وأنه يستجيب لأمر الله تعالى (أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَـا تَنْقُضُـوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) [1]، ولما بعث علـي أبـا موسـى الأشـعري للتحكيم ضاق الخوارج بهذا الأمر وقرروا الانفصال عنه وتكوين إمارة مستقلة وتعيين أميـر عليهم، وعرضوا الإمارة على بعضهم فرفضوا، وقبلها أخيراً عبد الله بن وهب الراسبي قائلاً: " فو الله ما أقبلها رغبةً في الدنيا، ولا فراراً من الموت، ولكن أقبلها لما أرجو فيها من عظيم الأجر. ثم مد يده، فقاموا إليه، فبايعوه، فقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصـلى علـى النبي ، ثم قال: أما بعد، فإن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الأمر بـالمعروف والنهـى عـن المنكر والقول بالحق والجهاد في سبيله (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَـدِيدٌ) [2]، وقال الله عز وجل: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ) [3]، وأشهد على أن أهل دعوتنا من أهل ديننا أن قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب وجاروا في الحكم، وإن جهـادهم لحق، فاقسم بمن تعنو له الوجوه وتخشع له الأبصار، لو لم أجد على قتالهم مسـاعداً لقـاتلتهم وحدي حتى ألقى ربى شهيداً [4]، وبايعوه أميراً لهم في العاشر من شوال سنة 37 هـ /657م ونزلوا إلى النهروان وكتبوا إلى أصحابهم أن يوافوهم بها ويتجمّعوا هناك[5]، فقـد قـال لهـم وهب: " اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنقاذ حكم الله، فإنكم أهل الحق، قال شريح: نخـرج

---

(1) سورة النحل، الآية 91.

(2) سورة ص، الآية 26.

(3) سورة المائدة، الآية 45.

(4) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت281 هـ /894م) الأخبار الطوال، ط1، تحقيق عبد المنعم عامر مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة 1960 ص202-203.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص75.

إلى المدائن[1] فننزلها، ونأخذها بأبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث إلى إخواننا مـــن أهــل البصرة فيقدمون علينا، فقال زيد بن حصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين اتبعتم، ولكن اخرجـــوا وحدانا مستخفين، فأما المدائن فإن بها من يمنعكم، ولكن سيروا حتى ننزل جســـر النهـــروان، وتكاتبوا إخوانكم من أهل البصرة. قالوا: هذا الرأي[2].

وبعد أن صدر قرار التحكيم وتبين أنه لم يُحسم النزاع، بدأ علي يستعد لغزو الشـــام ورد المخالفين إلى صفوف الجماعة، لكن ظهر من بين أصحابه من نادى بضـــرورة القضــــاء أولاً على الخوارج قبل التوجه لقتال أهل الشام، واستطاع علي أن يقنع هؤلاء بأن الخطر الحقيقـــي يكمن في الشام، وأن قتال معاوية أولى من قتال هذه الفئة الخارجة، واقتنـــع أصـــحاب علـــي بذلك، ولكن ورد إلى علي نبأ إفساد الخـــوارج فـــي الأرض واســـتحلالهم لـــدماء المســـلمين وأموالهم، وقتلهم لعبد الله بن خباب بن الأرت فقد لقوه في الطريق أحاطوا به فأخذوه وقـــالوا: لا بأس عليك! من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت، صاحب رسول الله صـــلّى الله عليه وسلّم، فقالوا: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم! فقال: نعم، ســـمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: " ستكون من بعدي فتنة، القاعد فيها خير مـــن القـــائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، فمن استطاع أن يكون فيها مقتـــولا فـــلا يكونن قاتلاً "، فشد عليه رجل من الخوارج يقال له مسعر بن فدكي، فضربه بســـيفه ضـــربة على أم رأسه فقتله، ثم إنهم دخلوا إلى منزله[3]. وأورد الطبري أنهم سألوه عـــن رأيـــه فـــي

---

(1) بليدة صغيرة في الجانب الغربي من دجلة، وهى نهرشير، وكانت درزبجان قرية فوق هذه بقريب مـــن فرسخ، وقد خربت الآن، وفى الجانب الشرقي الإيوان وقبر سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت626 هـــ /1229م) ، معجم البلدان، ط2، ج5، دار صـــادر، بيـــروت 1995 ص74.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص75. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص686.

(3) ابن أعثم، الفتوح، ط1، ج4، ص255.

التحكيم " قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنه أعلم بالله منكم، وأشد توقيا على دينه، وأنفذ بصيرة فقالوا: إنك تتبع الهوى، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالهـــا، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً........" [(1)].

وورد عند الذهبي أنهم قالوا له: من أنت؟ فانتسب لهم، فسألوه عن أبي بَكْــر، وعمــر، وعثمان، وعليّ، فأثنى عليهم كلّهم، فذبحوه وقتلوا امرأته، وكانت حُبْلَى، فبقروا بطنها، وكـــان من سادات أبناء الصحابة[(2)].

ثم إن علياً بعث لهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيه بخبرهم فقتلوه أيضاً، حينئذ لـــم يجـــد علي بداً من الانصياع لطلب أتباعه الذين رأوا ضرورة المسير إلى الخوارج ليفرغـــوا مـــنهم قبل التوجه إلى الشام، ولما قابل علي الخوارج طلب منهم تسليم قتلـــة عبـــد الله بـــن خبـــاب للقصاص منهم، فقالوا كلنا قتلناه[(3)]، فصمم على قتالهم وقال: هم هؤلاء القـــوم الـــدم الحـــرام وأغاروا على سرح الناس،

وإزاء تلك المحاولات التي قام بها علي تجاه الخوارج لإرجاعهم ورفضـــهم الاســـتجابة لذلك، عبّأ أصحابه فجعل على ميمنته حجر بن عدي الكندي وعلى ميسرته شبث بن ربعـــي أو معقل بن قيس الرياحي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجّالة أبا قتادة الأنصاري وعلى أهل المدينة قيس بن سعد بن عبادة وهم سبعمائة أو ثمانمائة، وكان على ميمنة الخوارج زيد بن الحصين الطائي، وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسي، وعلى خيلهم حمزة بن سنان

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص82.

(2) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748 هـــ /1347م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان ، ط2، ج3، تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي ، بيروت 1993 ص588.

(3) العقود الفضية في أصول الأباضية، ص63.

الأسدي وعلى الرجّالة حرقوص بن زهير السعدي[1]، وفي رواية أخرى أن حرقـوص بـن زهير ا لسعدي كان على ميمنتهم وعلى ميسرتهم شبيب بن بجرة الأشجعي مع شريح بن أوفى العبسي[2].

وقبل نشوب القتال وكمحاولة أخيرة من علي رفع راية أمان من أبي أيوب الأنصـاري، ودعاهم إلى الرجوع فاستأمن منهم ألف رجل[3]، ورجع فروة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة فارس، ونزل البندنيجين[4] والدسكرة[5] حيث قال : (والله ما أدري على أي شيء نقاتل عليا! لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو اتباعه) [6]، ورجعت جماعـة مـن الخوارج فرادى وجماعات ودخلت إلى الكوفة[7]، وخرج إلى علي منهم مائة رجل[8]، وحمـل وحمل رجل من الخوارج على أصحاب علي وقتل منهم ثلاثة، فخرج إليه علي فقتلـه، فقـال

---

(1) الدينوري، الأخبار الطوال، ص210. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص82.

(2) ابن خياط، أبو عمر خليفة العصفري (ت240 هـ /854م) تاريخ خليفة بن خياط، ط2، تحقيق أكـرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، دمشق 1977 ص197.

(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص139. الدينوري، الأخبار الطوال، ص210.

(4) بناحية العراق موضع يسمى وندنيكان وعرب على البندنيجين، ولم يفسر معناه: وهي بلدة مشهورة فـي طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد، يشبه أن تعد في نواحي مهرجانقذق. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص499.

(5) قرية كبيرة بنواحي نهر ملك كمدينة صغيرة، على ضفة نهر الملك، والدسكرة: قرية من عمل طريـق خراسان، بقرب شهرابان، تسمى دسكرة الملك؛ لأن هرمز بن أزدشير بن بابك كان يكثر المقـام بهـا، فنسب إلى الملك بذلك، وبها آثار للفرس، والدسكرة: قرية مقابل جبل، ومنها كان الوزير ابن الزيـات. والدسكرة أيضا: قرية بخوزستان.

الحموي، معجم البلدان، ج2، ص455.

(6) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279 هـ /892م) أنساب الأشراف، ط1، ج5، تحقيـق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت 1996 ص163. الطبري، تاريخ الرسل والملـوك، ج5، ص86.

(7) الدينوري، الأخبار الطوال، ص210. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص86.

(8) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص86.

الرجل : حبّذا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب: لعلها إلى النار فسمعه رجل من سعد فقال: إني أراه قد شك، فرجع بجماعة من أصحابه[1].

وذكر البلاذري أن عبد الله بن أبي الحوساء الطائي اعتزل في ثلاثمائة مـن أصـحابه، وخرج إلى علي منهم ثلاثمائة، واعتزل حوثرة بن وداع في ثلاثمائة، واعتـزل أبـو مـريم السعدي في مائتين، واعتزل غيرهم[2]، وانسحب صخر بن عروة في أصحابه[3].

وتضاربت الروايات حول من بقي من الخوارج مع عبد الله بن وهب الراسبي، فـأورد المنقري أنه أصيب يوم النهر من المحكمة خمسة آلاف رجل[4]، لكن هذه الرواية غير دقيقـة وذلك لأن الذين خرجوا إلى النهروان مع عبد الله بن وهب كانوا أربعة آلاف مقاتل[5]، وذكـر البلاذري أن الذين ظلوا مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة وقيل ألف وخمسمائة[6]، أما أبـو حنيفة الدينوري فذكر أن الذين بقوا مع عبد الله بن وهب أقل من أربعة آلاف[7]، وذكر المبرد المبرد أن الذين أصابهم علي يوم النهروان كانوا ألفين وثمانمائة[8]، أمـا اليعقـوبي فـذكر أن الذين رجعوا يوم النهروان ألفان وبقي مع عبد الله بن وهب أربعـة آلاف رجـل[9]، وذكـر الطبري أن الذين ظلوا ألفين وثمانمائة[10]، أما ابن كثير فذكر أن الذين ظلوا ألف رجل[11].

---

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص139.
(2) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص371.
(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص201.
(4) المنقري، صفين، ص558.
(5) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص139.
(6) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص371.
(7) الدينوري، الأخبار الطوال، ص210. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص82.
(8) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص139.
(9) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص193.
(10) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص86.
(11) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774ه/1374م) البداية والنهاية، ط1، ج7، تحقيق علي شيري دار إحياء، التراث العربي، 1988 ص335.

وفي شعبان سنة 38 هـ /658م كانت المعركة[1]، حيث قال علي لأصحابه : (كفوا عنهم حتى يبدؤوكم) [2]، وتنادت الخوارج الرواح الرواح إلى الجنة، وهجموا على جيش علي، علي، فقسّموا الخيل فرقتين، فرقة ذهبت نحو الميمنة، وفرقة نحو الميسرة، فاستقبلهم الرماة بالنبال، وعطفت الخيل عليهم حتى قتلوا جميعهم[3]، ولم يفلت منهم سوى تسعة تفرقوا في البلاد[4]، وقتل في المعركة أكبر زعماء الخوارج نذكر منهم عبد الله بن وهب الراسبي، وحرقوص بن زهير وزيد بن الحصين وعلفة أبو المستورد الخارجي[5].

واختلفت الروايات حول الذين قتلوا من جيش علي، وأكثرها تذكر أنهم لم يتعدوا العشرة رجال[6]، ولكن المنقري أورد رواية فيها أن الذين أصيبوا من أصحاب علي يوم النهروان كانوا ألف وثلاثمائة رجل[7].

وبعد انتهاء المعركة قام علي بتوزيع الغنائم من سلاح ودواب على من شهدوا المعركة أما الجرحى والمتاع والعبيد فقد أعادهم إلى أهاليهم[8]، وبعد الانتهاء من النهروان أمر علي أصحابه بالاستعداد للتوجه إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان، ولكن التذمّر بدأ يدل في أوساط جيشه حيث قالوا له: "يا أمير المؤمنين نفذت نبالنا وكلت سيوفنا ونصلت أسنتنا،

---

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص197.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص372. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص86.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص372. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص86.

(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص193.

(5) المسعودي، علي بن الحسين (ت346 هـ /957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1988 ص417.

(6) الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان (ت277 هـ /890م) المعرفة والتاريخ، ط2، ج3، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981ص315. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص418.

(7) المنقري، صفين، ص559.

(8) الدينوري، الأخبار الطوال، ص211. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص88. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص416.

فانصرف بنا إلى مصرنا حتى نستعد بأحسن عدتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عـــدة من فارقنا وهلك منا فإنه أقوى لنا على عدونا، فنزل النخيلة وعسكر فيها فأخذ أفـــراد جيشـــه يتسللون إلى الكوفة، ولم يبق منهم سوى عدد قليل فرجع بهم إلى الكوفة[1].

ولكن معركة النهروان لم تضع حداً للخوارج أو تنهيهم بل أذكت في من بقي مـــنهم روح القتال، وكانت ذكرى تلك الموقعة دافعاً لهم لمزيد من العنف، الأمر الذي أدى بهم إلى اغتيـــال علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– [2].

فكانت " وقعة النهروان"، وكان على الخوارج عبد الله بن وهب الراسبي، فهزمهم علـــي وقتل أكثرهم، وقتل ابن وهب، وقُتل من أصحاب علي اثنا عشر رجلاً، وقيل في تســـميتهم " الحرورية" لأنهم خرجوا على علي من الكوفة، وعسكروا بقرية قريبة من الكوفة يقـــال لهـــا " حروراء" [3].

المبحث الأول: معركة النخيلة سنة 37ه/657م

على الرغم من انتصار علي على الخوارج في معركة النهروان إلا أن هذه المعركة لـــم تكن خاتمة النضال مع الخوارج زمن علي، وأهم المعارك التي خاضها الخوارج بعد النهروان كانت معركة النخيلة.

فهناك بعض الجماعات التي انسحبت من النهروان وهم ممن التجأ إلى راية أبي أيـــوب الأنصاري وممن أقام بالكوفة وقال لا أقاتل مع علي ولا أقاتل ضده، اجتمعت تلك الجماعـــات وتذكروا إخوانهم وتأسفوا عليهم وندموا على خذلانهم، وقام المستورد من بني سعد بـــن زيـــد

---

(1) الدينوري، الأخبار الطوال، ص211. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص89. ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص340. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص418.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص143. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص743.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان ، ج3، ص588.

مناة وخطب فيهم فذكّرهم بما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضوان الله عليهم من أعمال وعاب على عثمان تفضيل أقاربه على غيرهم وعلـــى علي قبوله التحكيم حيث قال : (إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتانا بالعدل تخفق راياتـــه، مقلباً مقالته، مبلغاً عن ربه، ناصحاً لأمته، حتى قبضه الله وذكر أن الله عز جل قرن الصـــلاة بالزكاة، "فرأى تعطيل إحداهما طعناً على الأخرى، لا بل على جميع منازل الدين ثم قبضـــه الله إليه موفوراً، ثم قام بعده الفاروق، ففرق بين الحق والباطل، مسوّياً بين الناس في إعطائه، لا مؤثراً لأقاربه، ولا محكماً في دين ربه، وها أنتم تعلمون ما حدث، والله يقـــول: **(وَفَضَّـــلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً)**[1]، فكل أجاب وبايع[2]، ثم سار إليهم علي فقتلهم جميعاً، لم يفلت منهم إلا خمسة، منهم المستورد، وابن جوين الطـــائي، وفـــروة بـــن شـــريك الأشجعي[3].

المبحث الثاني: ثورة الخريت بن راشد الناجي

كان الخريت الناجي على رأس ثلاثمائة رجل من بني ناجية مقيمين مع علي في الكوفة، حيث شهدوا معه الجمل وصفين والنهروان، فجاء الخريت الناجي إلى علي فقال له: " والله يا علي لا أطيع أمرك، ولا أصلي خلفك، وإني غدا لمفارقك وذلك بعد تحكيم الحكمين، فقال لـــه علي: " ثكلتك أمك! إذا تعصي ربك، وتنكث عهدك، ولا تضر إلا نفسك خبرني لم تفعل ذلـــك؟ قال: لأنك حكمت في الكتاب، وضعفت عن الحق إذ جد الجد، وركنت إلى القوم الذين ظلمـــوا أنفسهم، فأنا عليك زار، وعليهم ناقم، ولكم جميعا مباين" [4].

---

(1) سورة النساء، الآية 95.

(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص174.

(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص174.

(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص411 الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص113-114.

ثم ذهب الخريت بن راشد الناجي إلى قومه، وأعلمهم أنه سيظهر الخلاف علـــى علـــي، وأنه سيفارقه، فنصحوه بمناظرته قبل خروجه، ولكنه رفض سماعهم والاستجابة لهم[1]، وسار في الليل ومعه قومه نحو كسكر، وأتى قرية هناك يقال لها نفر من قرى الكوفة، وقابلوا هناك رجلاً مسلماً يدعى زاذان فروخ فقالوا له : " أمسلم أنت أم كافر؟ فقال: بل أنا مسلم، قالوا: فما قولك في علي؟ قال: أقول فيه خيرا، أقول: إنه أمير المؤمنين، وسيد البشر، فقالوا له: كفــرت يا عدو الله! ثم حملت عليه عصابة منهم فقطعوه، ووجدوا معه رجلا من أهل الذمة، فقالوا: ما أنت؟ قال: رجل من أهل الذمة، قالوا: أما هذا فلا سبيل عليه.........." بمعنـــى أنهـــم أخلـــوا سبيله[2]، ويبدو أن علياً خاف أن يعيثوا فساداً في البلاد، فوجّه إليهم زياد بن خصفة في مائـــة وعشرين رجلاً من بكر بن وائل، وتوجه زياد بن خصفة للحاق بهم حتى أتى نفراً فقـــال لـــه أهلها: ذهبوا إلى جرجرايا، فقيل لهم أنهم نزلوا المذار، وقبل أن يشتبك معهـــم طُلـــب مـــن الخريت مناظرته لمعرفة سبب خروجه، فخلا مع الخريت ومع كل واحد مـــنهم خمســـة مـــن أصحابه، فسأله زياد عن سبب خروجه، فقال له: " لـــم أرضَ صـــاحبكم إمامـــاً، ولـــم أرضَ سيرتكم سيرة، فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى من الناس على رجل لجميع الأمة رضىً كنت مع الناس" [3]، عندئذ طلب منه زياد تسليم قتلة الرجل المسلم ولكنه رفــض، وعلى أثر ذلك اشتبك الطرفان، وكانت معركة حامية الوطيس عقرت فيها عامة الخيل، وكثـــر الجرحى بين الطرفين، وقتل من جانب زياد رجلان وقتل من جانب الخريت الناجي خمســـة، وحجز الليل بين الطرفين[4]، وهرب الخريت إلى الأهواز فانضم إليه ما يقارب مـــائتين مـــن

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص114.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص117.
(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص413.
(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص414. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص120.

أصحابهم الذين كانوا بالكوفة، وانضم إلى الخريت أعلاج وأكراد[1]، فكتب زياد بن خصفة إلى علي بذلك، فوجه علي معقل بن قيس الرياحي في ألفي رجل، وكتب إلى ابن عباس أن يمـــده بألفين[2]، فلحقهم معقل بن قيس وهم متوجهون إلى رامهرمز، فلحقهــم بــالقرب مــن جبــل رامهرمز، فعبّأ كل واحد منهم أصحابه، وجعل الخريت الناجي على ميمنته من كان معه مــن العرب، وجعل أهل البلد والعلوج والأكراد ممن كسروا الخوارج علــى ميســرته، واشــتبك الطرفان فقتل من بني ناجية سبعون رجلاً ومن العلوج والأكراد ثلاثمائة[3].

وهرب الخريت الناجي حتى وصل إلى أسياف البحر، وكان بها جماعــة مــن أقاربــه، فحرضهم على الخروج على علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-، فاتبعه منهم خلق كثيــر، واتبعه جماعة من عبد القيس، ومن والاهم ممن امتنعوا عن دفع الصدقة، وتوجه معقــل بــن قيس إلى الخريت، وعندما سمع الخريت بقدومه أخذ يحرَّض الناس عليه، فأخذ أصحابه مــن الخوارج وأعلمهم أنه يرى رأيهم، وأن علياً لا ينبغي له أن يحكّم الرجال في ديــن الله، وقــال لمن يرى رأي عثمان: " أنا والله على رأيكم، قد والله قتل عثمان مظلوما، فأرضى كل صــنف منهم، وأراهم أنه معهم، وقال لمن منع الصدقة: شدوا أيديكم علــى صــدقاتكم، وصــلوا بهــا أرحامكم، وعودوا بها إن شئتم على فقرائكم، وقال لجماعة من النصارى رجعوا إلى دينهم أن علياً سيقتلهم إذا ظفر بهم" [4].

وقبل نشوب القتال رفع معقل راية أمان ونادى: من أتاها من الناس فهو آمن إلا الخريت وأصحابه الذين حاربونا أول مرة، فرجع منهم خلق كثير فعبّأ معقل أصحابه وحرّضهم علــى

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص414. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص120.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص414.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص414. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص123-124.

(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص414. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص125.

القتال، فالتحم الطرفان ما يقارب ساعة، ثم حمل النعمان بن صهبان على الخريت وطعنه طعنة أدّت إلى مقتله، وقتل في المعركة من أصحاب الخريت مائة وسبعون رجلاً، وسبى منهم رجالاً ونساءً وصبياناً كُثر، فمن كان مسلماً خلّى سبيله ثم إنه خلّى سبيلهم جميعاً وكان ذلك سنة 38 هـ /658[1].

ويبدو أن الأمر لم يتوقف عند الخريت فقد خرج في السنة نفسها 38 هـ /658م الأشرس بن عوف الشيباني في مائتين من أصحابه ونزل الدسكرة، ثم خرج إلى الأنبار، فوجّه إليهم علي الأبرش بن حسان في ثلاثمائة من أصحابه فقتله وشتّتَ أصحابه[2]، ثم خرج الأشهب بن بشير المغربي، والبعض يقول الأشهب البجلي، وكان معه مائة وثلاثون رجلاً، فأرسل إليه علي جارية بن قدامة ، وقيل حجر بن عدي الكندي، فالتقوا بأرض جرجرايا من أرض جوخي فقتل الأشهب وأصحابه[3]، وفي نفس السنة خرج هلال بن علفة من تيم رباب في أكثر من مائتين إلى ماسبذان، فوجّه إليهم معقل بن قيس الرياحي فقتلهم جميعاً[4].

وخرج سعد بن قفل التيمي من تيم الله سنة 38 هـ /856م حتى أتى الدرزيجان، فكتب علي إلى عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي فقتلهم جميعاً[5]، وخرج في نفس العام أبو مريم السعدي من سعد مناة بن تميم في مائتين من المقاتلين في شهرزور، وأخذ يذكّر أصحابه بالنهروان، فانضم إليه مائتان، فأصبح في أربعمائة، فأتى بهم المدائن بعث إليه علي شريح بن

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص415. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص127.
(2) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص481. الدينوري، الأخبار الطوال، ص131. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص77.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص75. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص713. ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص357.
(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص721.
(5) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص484-485.

هانئ في سبعمائة رجل، فدعاهم إلى بيعة علي ولكنهم رفضـوا ونـادوا أن لا حكـم إلا لله، وهاجموا شريح وهزموه، فخرج إليهم علي بنفسه ووجّه أمامه جارية بن قدامـة فـي ألفـين وخمسمائة فقتلوهم إلا خمسين من أصحاب أبي مـريم اسـتأمنهم علـي بـن أبـي طالـب – رضي الله عنه– [1].

ثم أخذ الخوارج يخططون لاغتيال علي بن أبي طالب– رضي الله عنه–، فاجتمع ثلاثـة رجال من الخوارج في مكة، وهم عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله التميمي وعمـرو بن بكير التميمي، وتذاكروا أصحابهم في النهروان، فتعاقدوا على أن يقتلوا علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان– رضي الله عنهما– وعمرو بن العاص، واتفقـوا علـى أن يكـون الموعد في السابع عشر من رمضان[2]، فأما الذي قصد معاوية – رضي الله عنه– فإنـه لمـا وقعت عينه عليه ضربه فوقعت ضربته في إليته لكنه تعالج منها وشفي، أما صاحب عمرو بن العاص فإنه قتل خارجة بن حذافة[3]، أما عبد الرحمن بن ملجم فذهب إلـى الكوفـة، ولقـي أصحابه فأخبره بما أراد القيام به، ولقي امرأة تدعى قطام بنت الأخضر بن شـجنة مـن تـيم رباب، فأعجب بها وطلبها للزواج، فاشترطت عليه أن يعطيها ثلاثة آلاف درهم وخادماً، وأن يقتل علياً لأنه قتل أباها[4]، فخرج ابن ملجم ولقي شبيب بن بجرة الأشجعي، واتفق معه علـى قتل علي، وجلس عبد الرحمن بن ملجم وصاحبه في السدة التي يخرج منها علـي للصـلاة، وعندما خرج علي للصلاة ودخل من تلك السدة ضربه شبيب بن بجرة ولكنه أخطأه، ثم ضربه

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص485.

(2) الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت356 هـ /967م) مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت " د.ت" ص44.

(3) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص44–45.

(4) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص146. الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص46. الذهبي، تـاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان ، ج3، ص608.

عبد الرحمن بن ملجم فضربه في رأسه، فشدّ الناس على ابن ملجم فأمسكوا به، وأدخل إلى علي فقال علي: " النفس بالنفس إن أنا مت اقتلوه كما قتلني"[1]، ومات علي في اليوم الثالث من ضربة ابن ملجم وذلك سنة 40 هـ /، أما ابن ملجم فأخذوه وعذّبوه ثم قتلوه[2].

ثم تفرقت الخوارج لفرق عدة بلغ بها بعض كتّاب الفرق عشرين، ويلاحظ أن الخلاف بين هذه الفرق لم يكن في أمور خطيرة تؤدي للانشقاق وتكوين فرقة مستقلة، بل إن معظم نزاعاتهم كانت تدور في كثير من الأحيان حول أمور فرعية، ومن أهم هذه الفرق المحكمة الأولى الأزارقة والنجدات والصفرية والأباضية والعجاردة.

وهنا يتبادر للذهن سؤال عمن هم الذين انضموا لحركة الخوارج؟

يقول أحمد أمين أن أكثر من اعتنق المذهب الخارجي في أول الأمر عرباً سكنوا الكوفة والبصرة بعد فتوح عمر، وكانت تغلب على أكثرهم البداوة، وكان المذهب الخارجي مصبوغاً إلى درجة كبيرة بالصبغة البدوية في محاسنها ومساوئها، وبالرغم من نعته لهم بالبداوة إلا أنه وصفه وصفاً دقيقاً من حيث كثرة الخلاف على الرؤساء وكثرة الاختلاف والتفرق شيعاً وأحزاباً ومحدودية النظر وضيق الفكر في نظرتهم إلى مخالفيهم[3].

أما كلود كاهن فقد قال عنهم: " إن غلبة العنصر البدوي في صفوفهم نفّرت منهم معظم أهالي البلاد[4]، وذكرهم محمد عمارة قائلاً: " كانت الطلائع الأولى التي كوّنت فرقة الخوارج

---

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص147. الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص49. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681 هـ /1282م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ط1، ج7، دار صادر، بيروت 1994 ص218.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان ، ج3، ص608.

(3) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط7، ج3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1964 ص332.

(4) كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية نقله إلى العربية بدر الدين قاسم، دار الحقيقة، بيروت 1977 ص46.

تغلب على جهودهم بداوة الأعراب الذين لا جلد لهم على فقه الأساليب السياسية ومتعرجاتهـا، ولا طاقة لهم بأن يروا استئثار قريش بالسلطة وامتيازاتها بعد أن سوّى الإسلام بـين النـاس، ووصف رسوله عصبية الجاهلية بأنها نتنة[(1)].

أما فاطمة جمعة فقد وافقت هؤلاء المؤرخين فقالت: " كان الخوارج من قبائل أقل أهمية من حيث المكانة السياسية، اندمجت في الإسلام بعد فتوحات عمر بن الخطـاب، أقامـت فـي الكوفة والبصرة وكانت تغلب عليهم البداوة، فكثرت قبائل الخوارج من قبائل بكـر وتمـيم[(2)]، وهناك فريق من المؤرخين يشككون في حقيقة بداوتهم حيث وصفهم بليابيف بأنهم يتمسـكون تمسكاً تاماً بما جاء في القرآن الكريم، لذلك رفعوا شعار لا حكم إلا لله وأن علياً خالف أوامـر الله بقبوله التحكيم، وبالتالي فهم خرجوا على علي بسبب سياسة التنازلات التي اعتبروها مـن قبيل الترضية[(3)].

أما فلهاوزن فقال: " إن عرب الكوفة والبصرة كانوا جميعاً تقريباً من البـدو، أي أنهـم جاؤوا من قبائل تقيم في البادية، وهذا لا يدل على أن الخوارج بدو، ذلك لأن رابطتهم بالبادية انحلت منذ هجرتهم إلى مدائن الجيوش وانخراطهم فيها، وكانوا مجاهدين يتقاضون أجـورهم من بيت المال، رفعتهم ثمرات الجهاد، وصنع الله على أيديهم صنائع عظيمة أما البـدو الـذين احتفظوا بطباعهم البدوية فقد ظلوا بعيدين عن الحركات والأحزاب الدينية والسياسية، وكانـت كلمة أعرابي كلمة تحقير تدل على الرجل غير المتمدن وغير صحيح الإيمـان، أمـا الـذين يدخلون في الديوان ويقيمون في الأمصار من المقاتلة ينالون مكانة رفيعة، ولا شيء يدل على

---

(1) محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، ص11.

(2) جمعة، فاطمة، الاتجاهات الحزبية في الإسلام، ص156.

(3) ي، م، بليابيف، العرب والإسلام والخلافة العربية، نقله إلى العربية أنيس فريحة، راجعه وقدّم له محمد زايد، الدار المتحدة للنشر، بيروت 1973 ص85.

أن قدماء الخوارج كانوا يسكنون الكوفة والبصرة كانوا يختلفون عن سائر أهل الكوفة والبصرة، وعندما فروا لم يلجؤوا إلى الصحراء العربية بل لجأوا إلى غير عربية، وقال أن الخوارج لم يكونوا من قريش ولا من ثقيف ولا من الأنصار بل كانوا من قبائل أقل أهمية من حيث المكانة السياسية اندمجت في الإسلام وأقامت في البصرة والكوفة"[1].

المبحث الثالث: مبادئ الخوارج زمن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-

لم يكن للخوارج في بداية خروجهم آراء ومبادئ يجتمعون عليها، ولكن على ما يبدو أن الأحداث التاريخية كان لها الدور الكبير في ظهورهم وتطور أفكارهم.

إن قبول علي للتحكيم كان البداية التي كوّنت أول مبدأ من مبادئ الخوارج وهي قولهم لا حكم إلا لله، ويفسّرون هذا القول أن علي شكّ في شرعية خلافته عندما قبل بالتحكيم، وأن هذه الشرعية هي المبرر الشرعي لقتال من خالفه من المسلمين مثل طلحة والزبير وعائشة ثم معاوية بن أبي سفيان، ولذلك اعتزلوه وصاروا يطالبونه بالتوبة والرجوع إلى الإيمان، وهذا واضح من قولهم لعبد الله بن عباس عندما سألهم عن الذي نقموه على أمير المؤمنين علي؟ فقالوا له: قد كان للمؤمنين أمير، فلما حكّم في دين الله خرج من الإيمان، فليتب بعد إقراره بالكفر نعد له[2].

وعليه كان الخلاف الذي جرى حول مسألة التحكيم السبب الرئيسي في تبلور أفكار الخوارج الأولى، حيث تكونت إثر هذه الحادثة أولى مبادئهم، وهي تشكيك علي في حقه بالخلافة، وما أدت إليه من طلبهم منه التوبة، ثم أدى ذلك إلى نعته بالكفر حيث قالوا له: "

(1) فلهاوزن، أحزاب المعارضة، ص33-34.
(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص122.

جزعت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية لا حكم إلا لله"(1)، وكان تكفير الخوارج لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه- لأنه قبل بالتحكيم وقبوله هذا يعني تنازله عـن حقـه فـي الخلافة، وهذا الحق هو السبب في مقتل عثمان وفي محاربة طلحة والزبير وعائشة ثم معاوية بن أبي سفيان، فعندما كفّروا علياً قاموا بتكفير عثمان وأهل الجمل وأهل صـفين والحكمـين ومن رضي بحكمهما، وتولوا أبا بكر وعمر، وهذا واضح من إحدى خطبهم والتي جاء فيها: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تخفق راياته، مقلبا مقالته، مبلغـا عـن ربـه، ناصحا لأمته، حتى قبضه الله وذكر أن الله عز جل قرن الصـلاة بالزكـاة، "فـرأى تعطيـل إحداهما طعناً على الأخرى، لا بل على جميع منازل الدين ثم قبضه الله إليه موفورا، ثم قـام بعده2 الفاروق، ففرق بين الحق والباطل، مسوّياً بين الناس في إعطائه، لا مؤثرا لأقاربه، ولا محكماً في دين ربه......" (2).

وبعد نعت الخوارج علي بالكفر والخروج عن الحق ظهر لديهم مبدأ وجـوب الخـروج على السلطان من غيرهم، لأن الحكام من بعد التحكيم ضالّون وكافرون ويجب إزالتهم، ولذلك كان الحكّام من بني أميّة ظالمين وفاسقين ويجب قتالهم والتخلص منهم، وهذا واضح من أقوال زعمائهم حيث قام عبد الله بن وهب الراسبي وخطب فيهم قائلاً: " أيها الناس ما ينبغي لقـوم يؤمنون بالرحمن وينسبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الـدنيا آثـر عنـدهم مـن الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق وإن ضر ومر فإنه إن يضر ويمر في هذه الـدنيا فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنة فأخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلهـا إلـى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدعة المضلة والأحكام الجائرة، فقال حرقوص بن زهيـر إن

(1) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، ص402.

(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص174.

المتاع بهذه الدنيا قليل وإن الفراق لها وشيك فلا تدعوكم زينتها وبهجتها إلى المقـام بهـا ولا تلونكم عن طلب الحق وإنكار الظلم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسـنون"[1]، وكـان خروجهم هذا على السلطان من غيرهم، وذلك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيه ينـال المسلم رضوان الله تعالى، والذي فيه الخلود في جنّاته.

وبعد اتفاقهم على ضرورة الخروج على السلطان وإزالته والعمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رأوا ضرورة تولية إمام لهم غير إمام المسلمين، حيث جاء علـى لسـان حمزة بن سنان الأزدي "الرأي ما رأيتم، فولوا أمركم رجلاً منكم فإنه لا بد لكـم مـن عمـاد وسناد وراية تحقون بها وترجعون إليها فعرضوها على زيد بن حصـين الطـائي فرفضـها، وعرضوها على حرقوص بن زهير السعدي فأبى وعلى حمزة بن سنان وشريح بـن أوفـى العبسي فرفضاه وعرضوها على عبد الله بن وهب فقبلها[2].

وبعد أن حكموا على الحكام بالفسق والضلال والكفر جعلوا من يطيعهم ويؤازرهم حكمه حكم هؤلاء الحكام، فاستباحوا دمه وماله ولكنهم جعلوا قبل سفك دماء هؤلاء وأخـذ أمـوالهم يسألونهم ويفحصون عن حقيقة أمرهم، فكانوا يأتون إلى الشخص المسلم ويسألونه عن الحكّام، فإذا وافقهم بالخروج على الحكّام من غيرهم اعتبروه مسلماً، وكل من لا يأخـذ بـذلك يعتبـر كافراً ولا بد من قتله، فذهب ضحية هذا المبدأ كثيرون نذكر منهم أنهم قاموا بقتل عبد الله بـن

(1) الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276 هـ /890م) الإمامة والسياسـة، ج1، تحقيـق خليـل المنصور، دار الكتب العلمية، 1997 ص113. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص74.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص203-204. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص74.

خبّاب بن الأرت وبقروا بطن امرأته وهي حامل[1]، وقتلوا أم سنان الصيداوية وعدد من النساء، وقتلوا الحارث بن مرة القفعسي رسول علي إليهم[2].

وعندما طلب منهم علي تسليم القتلة قالوا: " كلنا قتلناهم واشتركنا في دمهم"[3]، فظهر لديهم مبدآن الأول إيمانهم بالاستعراض، لمعرفة الشخص المسلم من غير المسلم، وإذا اتضح لهم أنه غير مسلم قاموا بتطبيق المبدأ الثاني وهو استحلال دمه وأخذ أمواله، فكان هذا المبدآن من أصعب وأعنف المبادئ التي آمنوا بها والتي ذهب ضحيتها أناس كثيرون.

وبعد معركة النهروان ظهر لدى جماعات الخوارج مبدأ عدم القعود عن الجهاد، ففي النخيلة قام المستورد يحرّض الناس على عدم القعود عن الجهاد، وإن في الجهاد أجراً وثواباً عظيمين عند الله حيث ذكّرهم بالآية الكريمة " وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا"[4] فاستجاب له جميع أصحابه[5].

إن لتطور الأحداث التاريخية زمن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- دور كبير في تبلور أفكار وآراء الخوارج، والتي كان أبرزها الإقرار بإمامة أبي بكر وعمر، وتكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بحكمهما، ثم قالوا بضرورة الخروج على السلطان من غيرهم، وضرورة تولية إمام لهم ليدير شؤونهم، ويرجعون إليه في مشاكلهم وبعد إيمانهم بالخروج على الحكام نادوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن في ذلك تقرباً لله تعالى ونيل رضاه، وبعد حكمهم على الحكام بالظلم والجور قاموا باستعراض الناس، والاستعراض يعني أنهم يفحصون عن حقيقة أمرهم، فجعلوا كل من يؤازر الحكام ويطيعهم

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص82.
(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص207.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص83.
(4) سورة النساء، الآية 95.
(5) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص174.

كافراً مثلهم وجب قتله وأخذ أمواله، وبالتالي استحلوا دماء مخالفيهم من المسلمين، ثم ظهـــرت الجماعة التي تطالب بأن يكون الأمر شورى بعد تعـــدد ولاة الأمـــر ليختـــاروا إمامـــاً لكـــل المسلمين.

الفصل الثاني

ثورات الخوارج في عهد عبد الملك بن مروان

المبحث الاول: عبد الله بن ثور الخارجي 64هـ/684م

تعثرت خلافة الأمويين بعد تنازل معاوية الثاني عن الخلافة، لأن الأمويين عجزوا عن تقديم مرشح قوي للخلافة، فاستغلت القوى المعارضة هذا الوضع ممثلةً بالخوارج والشيعة، فقد أعلن عبد الله بن الزبير بالحجاز نفسه خليفة، ومدّ نفوذه إلى العراق وخراسان ومصر ومعظم أجناد الشام، حتى بدت الأمور كأنها تشير إلى الأجماع على بيعة ابن الزبير ونبذ بني أمية، إلا أن جند الأردن أعلن تأييده لبني أمية، وعارض أهله بيعة ابن الزبير، وبايعوا لمروان بن الحكم بعد مؤتمر الجابية على اعتبار أنه شيخ بني أمية، ووقعت بين مؤيدي مروان بن الحكم ومؤيدي عبد الله بن الزبير معركة مرج راهط سنة 64 هـ /683م التي انتصر فيها أنصار مروان ومدّوا نفوذ خلافة مروان بن الحكم إلى بقية أجناد الشام، ثم من بعدها إلى مصر حيث تمكنوا من أخذها من الزبير، وتوفي مروان بن الحكم قبل أن يأخذ باقي البلاد والتي كانت تتبع لابن الزبير، وقام بأمر الخلافة عبد الملك بن مروان، فوجّه حملة ضد مصعب بن الزبير والي العراق من قبل أخيه عبد الله، واستطاع أن يأخذها منه، وفي سنة 72 هـ /691م استطاع أن يقضي على عبد الله بن الزبير، ومدّ نفوذه إلى باقي الأقاليم ويجمع الناس على بيعته[1].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص564.

وفي ظل هذه الأوضاع تحرك الشيعة ممثلين بحركة التوابين، ثم حركة المختار الثقفي[1] من بعدهم، وتحرك الخوارج وهددوا الدولة من جهات متعددة، فكانت البصرة مهددة بصـــورة مستمرة ومباشرة من قبل الأزارقة الذي سيطروا على الأهواز وفارس وكرمـــان، كمـــا أن النجدات استطاعوا أن يسيطروا على اليمامة[2] وحضرموت والبحرين والطائف وعُمان، وكان لهذه الأحداث التاريخية أثرها في انقسام الخوارج إلى عدة فرق، وتبلور آراء كل فرقـــة مـــن هذه الفرق، وعندما توجه مسلم بن عقبة[3] بعد وقعة الحرة لحصار مكة، اجتمعـــت الخـــوارج فيما بينهم، وقرروا الخروج إلى مكة للدفاع عن البيت الحرام[4].

---

(1) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، مات يزيد بن معاوية (سنة 64 هـ /684م) وقام عبد الله بـــن الزبير في المدينة بطلب الخلافة، ذهب إليه المختار، وعاهده وشهد معه بداية حرب الحصين ابن نمير، ثم استأذنه في التوجه إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعته، فوثق به، وأرسله، ووصى عليه. غير أنه كان أكبر همه منذ دخل الكوفة أن يقتل من قاتلوا (الحسين) وقتلوه، فدعا إلى إمامة (محمد ابن الحنفية) وقال: إنه استخلفه، فبايعه زهاء سبعة عشر ألف رجل سرا، فخرج بهم على والي الكوفة عبد الله بن مطيـــع، فغلب عليها، واستولى على الموصل، وعظم شأنه. وتتبع قتلة الحسين، قضى عليه مصعب بن الزبيـــر سنة (67 هـ /687م). الدينوري، الأخبار الطوال، ص288 وما بعدها. الكتبي، محمد بن شاكر بـــن أحمد (ت764 هـ /1363م) فوات الوفيات، ط1، ج4، تحقيق إحسان عباس، دار صـــادر، بيـــروت 1973 ص123.

(2) بلد كبير، فيه قرى وحصون وعيون ونخل، وكان اسمها أولا جوا، واليمامة هي الزرقاء التي يضـــرب بها المثل في النظر البعيد. قلع تبع عينيها وصلبها على باب جو؛ فسميت بها. الحموي، معجم البلـــدان، ج5، ص424.

(3) مسلم بن عقبة بن رباح المري، أبو عقبة: قائد من الدهاة القساة في العصر الأموي. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد صفين مع معاوية، وكان فيها على الرجالة. وقلعت بها عينه، وولاه يزيد بن معاوية قيادة الجيش الذي أرسله للانتقام من أهل المدينة بعد أن أخرجوا عامله، فغزاها وآذاها وأسرف فيها قتلا ونهبا (في وقعة الحرة) فسماه أهل الحجاز (مسرفاً) وأخذ ممن بقي فيها البيعة ليزيد، وتوجه بالعسكر إلى مكة ليحارب ابن الزبير، لتخلفه عن البيعة ليزيد، فمات في الطريـــق بمكـــان يســـمى المشـــلل ســـنة (63 هـ /683م) ثم نبش قبره وصلب في مكان دفنه. العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن محمـــد (852 هـ /1448م) الإصابة في تمييز الصحابة، ط1، ج6، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلـــى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت 1995 ص232.

(4) الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت356 هـ /967م) الأغاني، ج14، مكتبـــة إحيـــاء التـــراث العربي، بيروت 1994 ص415.

وقاتل الخوارج مع عبد الله بن الزبير في حصار مكة الأول دفاعاً عن البيــت الحــرام، إلى أن توقف القتال بموت يزيد بن معاوية[1]، وبعد توقف القتال اجتمعت الخــوارج وقــرروا امتحان عبد الله بن الزبير ليعرفوا حقيقة أمره، فسألوه عن الخلفاء الراشدين فتولاهم جميعاً[2]، وفي تلك اللحظة عاد نافع بن الأزرق وأصحابه إلى البصرة، بينمــا انطلــق أبــو طــالوت وأصحابه إلى اليمامة[3].

ولا يزال الخوارج على رأي واحد إلى أن أظهر نافع الخلاف في أشياء كثيــر، فتفــرق الخوارج على إثرها إلى عدة فرق سلكت كل فرقة من هذه الفرق طريقاً تختلف عــن الفرقــة الأخرى، وهذه الفرق هي الأزارقة والإباضية والصفرية والبيهسية، وهنا سأتطرق للثــورات التي حصلت في عهد عبد الملك بن مروان.

وقبل الحديث عن تطورات ثورات الخوارج في عهد عبد الملك أود أن أشير إلى نــص ورد عند المبرد في كتابه الكامل في اللغة والأدب، وهو : " ونودي على السبي يومئذ، فغولي

---

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص205. يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي: ثــاني ملــوك الدولة الأموية في الشام، ولد بالماطرون، ونشأ بدمشق، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 60 هــ/679م وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الأول إلى مكة والثاني إلى الكوفة، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد " الحسين بن علي" سنة 61 هــ/680م وخلع أهــل المدينة طاعته (سنة 63 هــ /682م) فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة، وقتل فيهــا كثيــرا مــن الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين، وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير " عقبة بن نافع " وفتح " سلم بن زياد " بخارى وخوارزم. ويقال إن يزيد أول من خدم الكعبة وكساها الديباج الخسرواني. ومدته في الخلافة ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياماً (ت64 هــ /683م). المقدسي، مطهر بن طــاهر (ت355 هــ /966م) البدء والتاريخ، ج6، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د. ت ص6-16.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص566. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشــاهير والأعيــان، ج5، ص43-44.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص566. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشــاهير والأعيــان، ج5، ص44.

بأم حفص، فبلغ بها رجل سبعين ألفاً، وذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا ولحقوا بالخوارج، ففرض لكل واحد منهم خمسمائة، فكاد يأخذها ...." [1]، وإن في هذا الخبـــر دلالات عميقة، فوجود غير العرب عند الخوارج يعني أنهم لم تكن لديهم عقدة التعصب ضد الأديـــان الأخرى أو القوميات غير العربية، بل كان موقفاً متسامحاً تجاه غير المسلمين وغير العـــرب، فكان التعامل معهم قائماً على المساواة دون التمييز باعتبار الدم أو النسب أو الجنس[2]، فقتـــال الخوارج ضد الدولة الأموية لم يكن مبنياً فقط على الخلاف السياسي، بـــل إن هنـــاك جانبـــاً اجتماعياً واضحاً للعيان.

من ناحية أخرى نجد أن الخوارج قد ساندوا انتفاضة الفلاحين في البصرة على الحجاج، وفي نفس الوقت وجد الخوارج أنصاراً لهم في المدن بعد أن هرب إليه الفلاحون تخلصاً مـــن جباة الدولة الأموية، وبعد أن سمع كادحو المدن أن الخوارج يقفون بجانب المظلومين من أهل الريف[3]، وهذا جانب اجتماعي آخر في حركات الخوارج.

ولا بد من القول أن ظهور الخوارج بشكل عام هو تعبيـــر عـــن تناقضـــات اجتماعيـــة واقتصادية، اكتسبت طابعاً دينياً نتيجة تفجير تلك التناقضات من خلال مشكلة، لذلك فالخوارج جماعة تشكّل حزباً سياسياً يتبنى مبدأ العدالة الاجتماعية كما نادى بها الإسلام، ولم يكن – كما ذهب فلهاوزن– مجرد حزب سياسي ديني وحسب، فقد فاته أن الأحزاب السياسية في العصور الوسطى رغم مسوحها الدينية الظاهرة تتضمن أبعاداً اجتماعية لا يرقى إليهـــا الشـــك وتلـــك ظاهرة سادت العالمين الإسلامي والمسيحي على السواء[4].

---

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص253.

(2) مروة، النزعات المادية، ج1، ص512.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص210. مروة، النزعات المادية، ج1، ص512.

(4) اسماعيل، محمود، الحركات السرية في الإسلام (رؤية عصرية)، ط1، دار القلم، بيروت 1973 ص15.

ولكن وعلى الرغم من التأييد الذي كان يناله الخوارج من هذه الطبقات التي تمثل الفئة الكادحة في المجتمع، وهي بلا شك فئات مظلومة في الريف والمدن، كان كثير من هذه الفئات نفسها تنفر من أسلوب العنف والاهاب الدموي الذي سلكه الخوارج.

أبو فديك عبد الله بن ثور الخارجي:

أبو فديك الخارجي هو عبد الله بن ثور بن سلمة، من بنى سعد بن قيس من بكر بن وائل[1]، وكان كان خروج أبي فديك الخارجي سنة 72 هـ /691م إذ غلب على البحرين، وقتل نجدة بن عامر الحنفي، وتصادف أيضاً أن نزل قطري إلى الأهواز ، فضاقت الأمور على الوالي خالد بن عبد الله فبعث أخاه أمية بن عبد الله على جند كثيف إلى أبي فديك، فهزمه أبو فديك، وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه، وسار أمية على فرس له حتى دخل البصرة في ثلاثة أيام، فكتب خالد إلى عبد الملك بحاله وحال الازارقة[2]، واستمر الحال على ما هو عليه إلى السنة التالية 73 هـ /692م حيث قُتل نجدة بن عامر الخارجي وانضم أصحابه إلى أبي فديك، فأمر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة، ويسير إلى قتاله، فندبهم وانتدب معه عشرة آلاف، فأخرج لهم أرزاقهم، ثم سار بهم، وجعل أهل الكوفة على الميمنة، وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، وأهل البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، وهو ابن أخي عمر، وجعل خيله في القلب، وساروا حتى انتهوا إلى البحرين، فالتقوا واصطفوا للقتال، فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد، فكشفوا ميسرة عمر حتى أبعدوا، إلا المغيرة بن المهلب،

---

(1) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت281ه/894م) المعارف، ط2، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992 ص419.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص174.

ومجاعة بن عبد الرحمن، وفرسان الناس، فإنهم مالوا إلى صف أهل الكوفة بالميمنة، وجـرح عمر بن موسى[1].

فلما رأى أهل الميسرة أهل الميمنة لم ينهزموا رجعوا وقاتلوا ومـا علـيهم أميـر، لأن أميرهم عمر بن موسى كان جريحاً، فحملوه معهم، واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر الخـوارج، وحمل أهل الكوفة من الميمنة ومن معهم من أهل الميسرة حتى استباحوا عسكرهم، وقتلوا أبـا فديك، وحصروا أصحابه بالمشقر، فنزلوا على الحكم، فقتل مـنهم نحـو سـتة آلاف وأسـر ثمانمائة، ووجدوا جارية عبد الله بن أمية حبلى من أبي فديك، وعادوا إلى البصرة[2].

المبحث الثاني: قطري بن الفجاءة71-78هـ/ 690- 697م

جاء اختيار قطري بن الفجاءة بعد مقتل زعيم الأزارقة الزبير بن المـاحوز التميمـي، ولم تتم عملية الاختيار بالسرعة التي تم بها اختيار أبناء الماحوز بل استغرقت بعض الوقـت واستوجبت بعض الاستشارات، يقول المبرد: " ثم إن الخوارج أداروا أمرهم بينهم، فـأرادوا تولية عبيد بن هلال اليشكري، فقال: أدلكم على من هو خير مني! مـن يطـاعن فـي قبـل، ويحمي في دبر، عليكم قطري بن الفجاءة المازني. فبايعوه..." [3]، وفي هذا القول تأكيد علـى أن الكفاءة العسكرية كانت عاملاً في ترشيح قطري، إلا أن قطرياً لم يكن قائداً عسكرياً فحسب بل شخصاً متعدد المواهب سيكون لاختياره على رأس الحركة تأثير كبير.

يعود قطري بأصله إلى بني مازن من بني تميم وهو من الأشراف[4]، أمه مـن بنـي شيبان[1] وهي من القبائل التي أسهمت بدور كبير في الحركة الخارجية، فـي الواقـع إن أول

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص409.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص410.

(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص248.

(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص407.

مرة يرد فيها ذكر لقطري بن الفجاءة كان في زمن ولاية عبد الله بن عامر على البصرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان حيث يذكر ابن خياط في تاريخه أن ابن عامر ولّى عبد الرحمن بن سمرة سجستان[2] فأتاها ومعه من الأشراف عمرو بن معمر التميمي وعبد الله بن خازم السلمي وقطري بن الفجاءة المازني والمهلب بن أبي صفرة[3]، ثم تسكت المصادر عن ذكره، ويرد ذكره بعد ذلك في إطار حركة الخوارج سنة 65 هـ /684م إبان معركة دولاب التي قتل فيها نافع بن الأزرق[4]، وعلى هذا يكون قطري أول شخص يتولى قيادة حركة الخوارج من غير أن يكون من مؤسسيها.

يبدأ الحديث عن قطري بعد معركة سلّى وسلبرى[5] حيث نجد روايات تذكر مواقفه وآرائه ونصائحه التي كان يسديها لزعماء الحركة والتي تدل على سعة اطلاعه ومقدرته العسكرية الفائقة، ولربما أن مشاركاته السابقة في الفتوحات هي التي أكسبته خبرة بالأماكن

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص344.

(2) سجستان ناحية كبيرة وولاية واسعة؛ فقيل: اسم للناحية ومدينتها زرنج، وبينها وبين هراة عشرة أيام؛ وهى جنوبي هراة، وأرضها كلها رملة سبخة، والرياح فيها لا تسكن أبداً. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص190-191.

(3) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص189.

(4) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص213. دولاب: من قرى الري بينه وبين الأهواز فرسخان، فيه كانت الوقيعة بين أهل البصرة وبين الخوارج، قتل فيها نافع بن الأزرق رئيس الخوارج الأزارقة، وذلك في سنة 65 هـ تزاحفوا فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل وتضاربوا بالسيوف والعمد، وقتل في المعركة مسلم بن عبيس رئيس أهل البصرة ونافع بن الأزرق رئيس الأزارقة. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص485. الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله(ت900 هـ /1495م) الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت 1980 ص247.

(5) سلى جبل بمناذر من أعمال الأهواز، وكانت به وقعة للخوارج مع المهلب بن أبي صفرة، وسلبرى موضع واحد من نواحي خوزستان قرب جنديسابور، وهي مناذر الصغرى، والوقعة التي كانت بها كانت من أشد وقعة بين الخوارج والمهلب، كانت أولا على المهلب حتى بلغ فله البصرة ونعوه إلى أهلها وهرب أكثر أهل البصرة خوفاً من ورود الخوارج عليهم ثم ثبت المهلب وضم إليه جمعه وواقعهم وقعة هائلة قتل فيها عبيد الله بن الماحوز أمير الخوارج، وكانوا يسمونه أمير المؤمنين، وسبعة آلاف منهم وبقي منهم ثلاثة آلاف لحقت بأصبهان، وفي ذلك يقول بعض الخوارج:

بسلى وسلبرى مصارع فتية ... كرام، وعقرى من كميت ومن ورد

المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص234. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص619. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص232. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص280.

والأشخاص معاً، فهو ذو معرفة بطبيعة المنطقة وجغرافيتها، وطبيعة القواد الذين تولوا مهمة حرب الأزارقة وخاصة المهلب بن أبي صفرة، وهذا ما أكسبه مكانة متميزة داخل حركة الخوارج[1].

وعلى ما يبدو أن قطرياً كان أقل تطرفاً من القادة السابقين ويظهر ذلك من خلال مواقفه مع المخالفين والقعدة، وما يؤكد ذلك رواية يوردها المبرد في الكامل في اللغة حيث يقول: " وتلقاهم في ذلك الوقت الفرز بن مهزم العبدي فسألوه عن خبره، وأراد قتله، فأقبل على قطري فقال: إني مؤمن مهاجر، فسأله عن أقاويلهم، فأجاب إليها، فخلوا عنه، ففي ذلك يقول في كلمة له:

وشدوا وثاقي ثم ألجوا خصومتي... إلى قطري ذي الجبين المفلق

وحاججتهم في دينهم وحججتهم ... وما دينهم غير الهوى والتخلق[2]

فيظهر من هذه الرواية أن قطري اكتفى بسؤاله عن أقاويل الخوارج فلما أجابه إليها خلى سبيله.

ومما يؤكد تسامحه رواية نقلها الدجيلي عن البلاذري فحواها أن الملّاحين الأعاجم كانوا ينادون إخوانهم من الأعاجم للانضمام إليهم قائلين: " تعالوا إلى قطري إلى خير الناس وأوفاهم"[3]، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن قطري تميز عن غيره من قادة الخوارج بميوله للعصبية القبلية التي ظهرت جلياً من خلال أشعاره فيقول مثلاً:

ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت ... طعان فتى في الحرب غير ذميم

غداة طفت علماء بكر بن وائل ... وعجنا صدور الخيل نحو تميم

---

(1) ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد المدائني (ت655 هـ /1257م) شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1969 ص161.

(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص241.

(3) الدجيلي، حسن مجيد، إيران والعراق خلال خمسة قرون، ط1، دار الأضواء، بيروت 1999 ص159.

وكان لعبد القيس أول جدها ... وأحلافها من يحصب وسليم[1].

كان أول ما عمله قطري أن سار بالخوارج إلى ناحية كرمان حيث أقاموا بها، وقويت شوكتهم فعاد بأصحابه إلى أصبهان ومنها إلى الأهواز، فأقاموا بها، فكتب والي البصرة حينئذ الحارث بن أبي ربيعة إلى مصعب بن الزبير أن يوجه إليهم نائبه المهلب بن أبي صفرة، الذي كان على الموصل والجزيرة، وهكذا عاد المهلب ثانية لمقارعة الخوارج فالتقى بهم بسولاف[2]، وبعد قتال استمر ثمانية أشهر ابتعد قطري بالخوارج عن الأهواز، واستعاد عبد الملك العراق سنة 72 هـ /691م والخوارج في بزامهرمر والمهلب على مقربة منه[3].

ويبدو أن الخوارج هم آخر من بقي واقفاً في وجه عبد الملك بن مروان وبخاصة بعد ضم العراق والحجاز، وكان مصعب قد أرسل المهلب بن أبي صفرة لقتال الخوارج بناءً على إلحاح أهل البصرة[4]، وكان المهلب لا يزال يحارب الخوارج الأزارقة بسولاف حين ضم عبد الملك العراق، فوصل الخبر للخوارج قبل وصوله للمهلب وأصحابه، فأراد الخوارج أن يمتحنوا خصومهم فسألوهم عن رأيهم بمصعب،: " إمام هدى"، فقال لهم الخوارج: " فهو وليكم في الدنيا والآخرة "، قالوا: نعم قالوا: وأنتم أولياؤه أحياءً وأمواتاً، قالوا: فما قولكم في عبد الملك بن مروان؟ قالوا: ذلك ابن اللعين، نحن منه براء، هو عندنا أحل دماً منكم، قالوا: فأنتم براء منه في الدنيا والآخرة، وأنتم أعداؤه أحياءً وأمواتاً؟ قالوا: نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم، قالوا: فان امامكم مصعبا قد قتله عبد الملك بن مروان، ونراكم ستجعلون غدا

---

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص215.

(2) قرية في غربي دجيل من أرض خوزستان قرب مناذر الكبرى، كانت فيها وقعة بين أهل البصرة والخوارج الأزارقة. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص285.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص127.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص156. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276 هـ /890م) الإمامة والسياسة، ج2، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت 1997 ص254.

عبد الملك إمامكم، وأنتم الآن تتبرؤون منه، وتلعنون أباه! قالوا: كذبتم يا أعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب، فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأتتهم الخوارج فقالوا: ما تقولون في مصعب؟ قالوا: يا أعداء الله، لا نخبركم ما قولنا فيه، وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم، فكره منهم الخوارج ما تصرفوه، ورأوا فيهم عدم الاستقرار على مبدأ[1].

وعندما استقر عبد الملك بالكوفة بعد مقتل مصعب بن الزبير استعمل خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة، فأقدم هذا الوالي بأن جعل المهلب بن أبي صفرة على خراج الأهواز، وعيّن أخاه عبد العزيز لقتال الأزارقة ومعه مقاتل بن مسمح وعلى غير رغبة المهلب الذي قال للوالي الجديد: " أنا أيها الأمير! أنا لا أصلح للخراج، وأخوك عبد العزيز لا يصلح لحرب الأزارقة، لأن هذا الأمرله شأن يسكع عنده الجبان ويثبت عنده الحازم "[2].

خرج عبد العزيز ومعه مقاتل يطلبان الأزارقة، فأتت الخوارج من ناحية كرمان، وأرسل قطري بن الفجاءة مع صالح بن مخارق تسعمائة فارس، واستطاعوا أن يقتلوا عبد العزيز ويأسروا زوجته كما قتلوا ابن مسمح[3]، ووقع في هذه الموقعة أسرى كثيرون تم حبسهم في غار حتى ماتوا، فأنشأ بعض أهل البصرة يقول:

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم ... وتركتهم صرعى بكل سبيل

من بين ذي عطش يجود بنفسه ... وملحب بين الرجال قتيل

وتركت قومك لا أمير عليهم ... فارجع بخزي في الحياة طويل

ونسيت عرسك إذ تقاد سبية ... تبكي العيون برنة وعويل[4]

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص168.

(2) ابن أعثم، أحمد بن محمد بن علي (ت314 هـ /926م) الفتوح، ط1، ج6، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت 1991 ص357.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص169.

(4) ابن أعثم، الفتوح، ط1، ج6، ص360.

ثم قدمت الأزارقة امرأة عبد العزيز فنودي عليها كما ينادى على الإماء، فبلغت [قيمتهـــا] كذا وكذا ألفاً، فتقدم قطري بن الفجاءة فضرب عنقها، فأنشأ الصلتان العبدي يقول:

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم ... وتركتهم صرعى بكل مكان

لما رأيت أبا نعامة مقبلا ... يدعو عبية والرماح دواني

وأخاهما عمرو القنا وفوارسا ... شمّ الأنوف معانقي الأقران

ولعبد رب في الهياج غماغم ... ولصالح شغب على الفرسان

أسلمت عرسك والبلاء موكل ... بالقوم عند تشاجر المرآن

وزعمت أنك كالمهلب نجدة ... فحرمتها والبيت ذي الأركان[1]

إن سياسة هذا الوالي أعطت قوةً للخوارج الأزارقة، فبهذه النتيجة كسب الخـــوارج قـــوةً إلى قوتهم، ولا شك أن قصد الوالي هو إسقاط المهلب من أعين أهل البصرة والقضـــاء علـــى مكانته وسمعته، وبنفس الوقت الرفع من مكانة أخيه عبد العزيز[2]، لكن هذه السياســـة جـــاءت بنتائج عكسية على غير ما أراد الوالي، وزادت مكانة المهلب بن أبي صفرة، كما جلبـــت لـــه حنق الخليفة عبد الملك بن مروان عندما علم بالهزيمة، وقبّح رأيه، وانتقده على ما فعل فـــأثنى على المهلب فوصفه بأنه :" الميمون النقيبة، الحسن السياسة، البصير بالحرب، المقاسي لهـــا، ابنها وابن أبنائها"[3]، ثم كتب إلى أخيه بشر بن مروان يأمره أن يمد خالداً بخمسة آلاف رجل، وخرج خالد بأهل البصرة ثم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على رأس جيش من الكوفـــة، والتقى الجيشان في الأهواز، وعسكرت الخوارج جوارهم، فجعل خالد المهلب علـــى ميمنتـــه وداود بن محذم على ميسرته، ولما ابتدأت المعركة لم يستطع الخوارج الصـــمود، فـــانهزموا

---

(1) ابن أعثم، الفتوح، ط1، ج6، ص360.

(2) ابن أعثم، الفتوح، ط1، ج6، ص360.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص171. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص394.

فأتبعهم خالد بداود بن محذم وانصرف عائداً إلى البصرة، وكتب إلى الخليفة يخبره بانتصاره على الخوارج[1].

أدرك الخليفة الأموي أن أمر الخوارج لن يتوقف عند هذا الحد، وأنهم لن يستسلموا بالهزيمة فكتب إلى أخيه بشر أن يمد داود بن محذم بأربعة آلاف فارس من أهل الكوفة، فأمده بهذا العدد بقيادة عتاب بن ورقاء، فقام هؤلاء بمطاردة الخوارج حتى أُنهكت خيولهم وعادوا بعد أن أصابهم الجهد والجوع[2]، ثم أمر الخليفة بتولية المهلب وإمداده بثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة، كما أنه حذّر بشر بن مروان من عزل المهلب[3]، وخرج جيش الأمويين بقيادة المهلب حتى اقترب من الخوارج، فما كان من الخوارج إلا أن توجهوا نحو سوق الأهواز، فلاحقهم المهلب حتى طاردهم من كل الأهواز، فكلّف المهلب ابنه المغيرة بمطاردتهم حتى فارس[4].

أقبل ابن مخنف بجيش الكوفة على المهلب وهو برامهرمر وبقيا معاً شهراً، فجاءهم نعي الوالي بشر بن مروان، فاضطرب أمر العساكر من جند الكوفة والبصرة وتجمعوا في سوق الأهواز، وعبثاً حاول الوالي الجديد الذي استخلفه بشر قبل موته خالد بن عبد الله أن يرد العساكر الهاربين إلى المهلب، مما جعل العراق في محنة واضطراب، وصمد المهلب وابن مخنف وعدد قليل من العساكر وأخذ الوضع يزداد سوءاً، فكتب إلى الخليفة عبد الملك قائلا: " إنه ليس عندي رجال أقاتل بهم، فإما بعثت إلي بالرجال وإما خليت بينهم وبين البصرة"[5]، فتم اختيار الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على الكوفة والبصرة وعمل على دعم الجيش لمحاربة

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص172. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص395.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص172. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص395.
(3) ابن أعثم، الفتوح، ط1، ج6، ص361.
(4) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص226.
(5) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص403.

الخوارج، ولاحق المهلب وابن مخنف الخوارج فانهزموا إلى كازرون[1] في نواحي سابور[2] فتبعوهم، وحاول الخوارج أن يباغتوا المهلب فوجدوه قد تحرز بالخنادق، فمالوا إلى ابن مخنف فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه فقاتل حتى قتل وذلك سنة 75 هـ /695م[3].

ثم كتب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء عامله على أصبهان كتاباً يأمره فيه بالتوجه إلى المهلب والانضمام إليه لقتال الخوارج، على أن يسمع له وأن يضم إلى عسكره جند عبد الرحمن بن مخنف[4]، ثم سار عتاب بجيشه إلى المهلب فقدم عليه وهو يقاتل الخوارج في بسابور في جمادى الأولى سنة 76 هـ /695م ولكنه انسحب بدعوة من الحجاج بعد ثمانية أشهر وذلك لظهور شبيب الخارجي في العراق[5]، وبقي المهلب يقاتل الخوارج زهاء ثمانية عشر شهراً حتى تمكن من أجزاء مهمة من أرض فارس فانسحبوا نحو أرض كرمان[6].

ثم بعث الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة يستحثّه على مناجزة الخوارج، ويأمره بالجد وأنه لا عذر له عنده، وكتب إليه قائلاً: " إنك لتحب بقاءهم لتأكل بهم "[7]، فأراد المهلب أن يعطي الحجاج دليلاً حقيقياً، وأن يبين له الصورة التي شهدها عن بأس الخوارج وشدّتهم في الحروب والمعارك، ويبيّن له بعد نظره في خطته العسكرية، فأمر بتحريك جيشه ومهاجمة الخوارج، فاقتتلوا إلى أن حلّ الليل، ملّ الفريقان، فرجع البراء، فكان المهلب قد أحسن له

---

(1) مدينة بفارس بين البحر وشيراز. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص429.

(2) هي بلدة ولاية بين خوزستان وأصبهان، وكان السبب في تسميتها بذلك أن سابور بن أردشير لما تخلى عن مملكته وغاب عن أهل دولته لحكم المنجمين بقطع يكون عليه، خرج أصحابه يطلبونه فلما انتهوا إلى نيسابور قالوا: نيست سابور، أي ليس سابور، فسميت نيسابور. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص167.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص212.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص213.

(5) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص269-270.

(6) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص270. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص213.

(7) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص265.

وحمله وكساه وأمر له بعشرة آلاف درهم فقال للحجاج: " ما رأيت كتيبة ولا فرساناً أصبر ولا أشد من الفرسان الذين يقاتلونك [1]، ثم إن المهلب قاتلهم ثمانية عشر شهراً لا يستقبل منهم شيئاً، ولا يرى في موطن ينفعون له من الطعن والضرب ما يرد عنهم به إلا قام به.

إن المدقق في حركة الخوارج وحروبها مع المهلب في هذه الفترة سيلاحظ أن سياسة المهلب كانت تقوم على النفس الطويل من الناحية العسكرية، وأنه كان ينتظر فرصةً مناسبةً ليؤثر عليهم من الداخل، حتى يهون عليه أمرهم ويسهل القضاء عليهم، فقد كتب إلى الحجاج : " أيها الأمير، إني أنتظر بهم ثلاث خصال، موت صاحبهم قطري بن الفجاءة، أو فرقةً وتشتيتاً، أو جوعاً قاتلاً، وأنا أرجو أن أدرك ذلك فيهم إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العظيم[2]، وإن نفس الرواية ترد عند المبرد ولكن بصيغة أخرى حيث يقول: " إني منتظر بهم إحدى ثلاث: موت ذريع، أو جوع مضر، أو اختلاف من أهوائهم[3].

إن كل هذه المحاولات كانت تبوء بالفشل، فالخوارج كانوا أشداء في القتال وأصحاب همة عالية، ولكن سرعان ما دب الشقاق بين صفوف الخوارج، فما كان من المهلب إلا أن استغل هذا النزاع وعمد إلى حيلة ناجحة، فقد عرف من بين الخوارج رجلاً يصنع السهام المسمومة فأرسل المهلب أحد أصحابه بكتاب أمره أن يلقيه بين عساكر قطري سراً كتب فيه : " أما بعد، فإن نصالك قد وصلت إلي، وقد وجهت إليك بألف درهم، فاقبضها وزدنا من هذه النصال..) [4]، فقام قطري بقتل صاحب النصال فأنكر عليه ذلك عبد ربه الكبير ووقع خلاف جديد[5]، ثم جنّد المهلب رجلاً نصرانياً وأمره أن يسجد لقطري، فلما شاهده الخوارج أنكروا

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص468.
(2) ابن أعثم، الفتوح، ج7، ص15.
(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص266.
(4) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص271.
(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص469.

ذلك عليه وقتلوا النصراني واتهموا قطري بتأليه نفسه[1]، ويرى الـــدينوري أن ســـبب تـــآمر الخوارج على قطري تعود إلى تقاعسه عن الحرب ومحاولته الفرار من أرض المعركة، ممـــا جعلهم يولون عبد ربه الكبير[2].

المبحث الثالث: عبد ربه الكبير 76-77هـ/695-696م

نلاحظ أن الشقاق سرعان ما دب بين الخوارج الأزارقة، فقد ذُكر أن عاملاً لقطري على إحدى نواحي كرمان قتل رجلاً من الخوارج، فهبّ الخوارج ليثأروا منه، فمنعهم قطري بحجة أنه تأوّل فأخطأ التأويل، فكان هذا صدعاً كبيراً بينهم[3]، وزادت الخلافات أيضاً ومما يـــروى عن المبرد وجهاً آخر من وجوه الاختلاف بينهم ومن ذلك أن عبيدة بن هلال اليشكري أتهـــم بامرأة رجل رأوه مراراً يدخل منزله بغير إذن، فأتوا قطرياً فذكروا ذلك له، فقـــال لهـــم: إن عبيدة من الدين بحيث علمتم، ومن الجهاد بحيث رأيتم فقالوا: إنا لا نقاره على الفاحشة، فقال: انصرفوا، ثم بعث إلى عبيدة فأخبره وقال: إنا لا نقار على الفاحشة، فقال: بهتوني يـــا أميـــر المؤمنين، فما ترى؟ قال: إني جامع بينك وبينهم، فلا تخضع خضوع المـــذنب، ولا تتطـــاول تطاول البريء، فجمع بينهم فتكلموا، فقام عبيدة فقال: بسم الله الـــرحمن الـــرحيم: **{إِنَّ الَّـــذِينَ جَاءُوا بِالْأِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}** [4]، فبكوا وقاموا إليه فاتنقوه، وقالوا: استغفر لنا، ففعل، فقال لهم عبد ربه الصغير مولى بني قـــيس بـــن ثعلبـــة: والله لقـــد

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص469.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص277.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص468.

(4) سورة النور، الآية 11.

خدعكم، فبايع عبد ربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يجدوا على عبيدة في إقامة الحد ثبتاً [1].

وقيل إنه لما رأت الخوارج تقاعس قطري عن الحرب ومحاولتــه الفــرار مــن أرض المعركة، ولما رأى قطري من أصحابه تآمروا على حياته، عزم أن يبايع المقعطــر العبــدي، فأبى قطري أن يعزله عنهم، حينذاك اتسع الرتق بينهم فخلعوا قطرياً، وولّوا عليهم عبد ربــه الكبير[2]، ثم إن فتى من العرب طعن صالح بن مخراق فقتله، فنشبت الحرب فيما بينهم، ولــم تنجل إلا عن ألفي قتيل[3]، ولم يقتصر الخلاف بين زعماء الأزارقة علــى أمــور اجتهاديــة فحسب، بل اتخذ صورة جديدة حين تطور خلافاً عنصرياً، فقد انضم الموالي والعجم إلى عبــد ربه الصغير، وأخرجوا العرب وقطري عن مدينة جيرفت[4]، وقيل أن هؤلاء الموالي كــانوا زهاء ثمانية آلاف من القرّاء[5].

وعلى حسب الرواية التي يذكرها البغدادي فقد سار سبعة آلاف من الخوارج مــع إلــى قومس[6] مع عبد ربه الكبير، فيما مضى عبد ربه الصغير إلى ناحيــة أخــرى مــن نــواحي كرمان[7]، واقتتل الخوارج فيما بينهم ووقف المهلب يتفرج عليهم، ولما كتــب إليــه الحجــاج يطالبه بمقاتلتهم وهم في حال اختلافهم، لم يمتثل لأمره بل ردّ عليه قائلاً: " إني لست أرى أن أقاتلهم ما دام يقتل بعضهم بعضا، فإن تموا على ذلك فهو الذي نريــد، وفيــه هلاكهــم، وإن

---

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص277-278.
(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص277.
(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص279.
(4) مدينة بكرمان وهي مدينة كبيرة جليلة من أعيان مدن كرمان وأنزهها وأوسعها، بها خيرات ونخل كثير وفواكه، ولهم نهر يتخلل البلد إلا أن حرها شديد. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص198.
(5) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص279.
(6) قومس كورة كبيرة واسعة، بها مدن وقرى ومزارع في ذيل جبل طبرستان، قصبتها دامغان، بين الري ونيسابور، وبسطام من مدنها. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص414.
(7) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص65.

اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقق بعضهم بعضا، فأناهضهم حينئذ وهم أهون ما كانوا وأضعفه شوكة إن شاء الله تعالى والسلام"[1].

وهكذا بعد أن اقتتلوا زهاء شهر فيما بينهم شعر المهلب بارتياح وطمأنينة فهنّأ أصحابه بذلك، وأخبرهم بأن الله قد أراحهم من رؤوس الخوارج وأبطالهم، ولم يبق منهم إلا عبد ربه في خنشار من الناس، ثم إن المهلب انتهز فرصة انقسامهم وضعفهم فسار إليهم وتهيأت الخوارج لملاقاته وناداهم أميرهم عبد ربه قائلاً: " يا معشر المهاجرين، روحوا بنا الى الجنة، فان القوم رائحون الى النار"[2]، وتلا ذلك قتال شديد استطاع المهلب في نهايته أن يخرجهم من جيرفت، واستمر في ملاحقتهم وهزمهم هزيمة منكرة، وقتل رأسهم عبد الكبير ولم ينجُ منهم إلا القليل[3].

وبعث المهلب بخبر انتصاره إلى الحجاج، فسرّ سروراً عظيماً واستقدم المهلب فأجلسه إلى جانبه وأظهر إكرامه له وقال: يا أهل العراق، أنتم عبيد المهلب، ثم قال: أنت والله كما قال لقيط الإيادي:

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعاً

لا يطعم النوع إلا ريث يبعثه ... هم يكاد حشاه يقصم الضلعا

لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ... ولا إذا عض مكروه به خشعا

ما زال يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون متبعاً طوراً ومتبعا

حتى استمرت على شر مريرته ... مستحكم الرأي لا قحماً ولا ضرعا [4]

---

(1) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597 هـ /1201م) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط1، ج6، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1992 ص194. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص469.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص279.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص469.

(4) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص287.

المبحث الرابع: صالح بن مسرح 70-76هـ/ 689-695م

كان صالح بن مسرح[1] رجلاً ناسكاً كثير العبادة، وكان مقيماً بدارا[2] وأرض الموصل والجزيرة، وله أصحاب يقرأ لهم القرآن والفقه ويعظهم، فدعاهم إلى الخروج فأجابوه فقد ورد أنه قال لهم: " تأهبوا لجهاد الظلمة، ولا تجزعوا من القتل في الله، فالقتل أسهل من الموت، والموت لا بد منه"[3]، فأجابوه وكان يرى رأي الصفرية من الخوارج، فبينما هم كذلك إذ قدم عليه كتاب شبيب بن يزيد[4] يستشيره في الخروج، فكتب إليه صالح بالإيجاب، ثم خرج شبيب مع أصحابه حتى قدم على صالح بن مسرح بدارا، وقدم على صالح أيضاً أخا شبيب وهو مصاد والمجلل والفضل بن عامر، فاجتمع عليه من الأبطال وهو بدارا نحو مائة وعشرة أنفس، وتواعدوا ليلة الأربعاء من هلال صفر سنة 76 هـ / 695م للخروج، ثم هاجموا خيلاً لمحمد بن مروان[5] أمير الجزيرة لأخيه عبد الملك بن مروان واستولوا عليها، فلما بلغ محمداً

---

(1) صالح بن مسرح التميمي زعيم الصفرية، وأول من خرج فيهم، نشبت الوقائع بينه وبين أمير الجزيرة (محمد بن مروان) فقتل صالح بالقرب من الموصل، قتله الحارث بن عمير الهمداني سنة (76 هـ /695م). الزركلي، خير الدين بن محمود (ت1396 هـ /1976م) الأعلام، ط15، ج3، دار العلم للملايين، 2002 ص197.

(2) دارا بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين، وهي من بلاد الجزيرة، ذات بساتين ومياه جارية، وعندها كان معسكر دارا بن دارا الملك ابن قباذ الملك لما لقي الاسكندر المقدوني فقتله الاسكندر وتزوج ابنته وبنى في موضع معسكره هذه المدينة وسماها باسمه. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص418.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، ج5، ص78.

(4) شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني، من أبطال العالم، وأحد كبار الثائرين على بني أمية، كان داهية طماحاً إلى السيادة قتل سنة (77 هـ /696م). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص454.

(5) محمد بن مروان بن الحكم الأموي كان والي الموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان. واشتهر بقوة البأس، حتى كان أخوه الخليفة عبد الملك يحسده على ذلك، له وقائع وحروب مع الروم، وهو والد (مروان) آخر ملوك بني أمية (ت101 هـ /720م). ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت852 هـ /1448م) لسان الميزان، ط2، ج5، تحقيق دائرة المعرف النظامية في الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت 1971 ص375.

مخرجهم أرسل عدي بن عدي الكندي[1]، إليهم في ألف فارس فهزمهم الخوارج، فدعا خالد بن جزء السلمي والحارث بن جعونة العامري، وأرسل إلى كل واحد منهما في ألف وخمسمائة فارس لمطاردة الخوارج، ففرّ الخوارج بعد أن فقدوا أكثر من نصفهم، فقطعوا أرض الجزيرة والموصل، وانتهوا إلى الدسكرة، فلما بلغ ذلك الحجاج أرسل إليهم الحارث بن عميرة في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة، فألحقوا بالخوارج الهزيمة نكراء واحتووا على ما في معسكرهم، وقتل صالح بن مسرح زعيم الصفرية، وكاد شبيب أن يُقتل بعد أن صُرع عن فرسه، قبل أن يلحق الهزيمة بجيش الحارث الذي هُزم، فاحتمله أصحابه وانهزموا نحو المدائن[2].

ويُذكر أن شبيباً لقي سلامة بن سيار بن المضاء التيمي بأرض الموصل، فدعاه إلى الخروج معه، فاشترط عليه سلامة أن ينتقم من عنزة الذين كانوا قد قتلوا أخاه فضاله فأجابه شبيب، فخرج حتى انتهى إلى عنزة ففتك بهم، حتى انتهى إلى خالته، وقد أكبّت على ابن لها وهو غلام فأخرجت ثديها وناشدته الرحم أن يكف عنه، فلم يصغ إليها وطعنه برمحه فقتله، وذلك أن أخواله من بني نصر قد خذلوا أخاه فضالة[3].

ثم إن شبيب ارتحل ومعه طائفة من أصحابه نحو أذربيجان، فأرسل الحجاج سفيان بن أبي العالية الخثعمي في ألف فارس، لمطاردة شبيب وأصحابه، فعجّل سفيان في طلب شبيب،

---

(1) عدي بن عدي بن عميرة بن فروة، من بني الأرقم، من كندة: سيد أهل الجزيرة في رمانه، كان ناسكاً فقيهاً، ولاه سليمان بن عبد الملك قضاء الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وأقره عمر بن عبد العزيز (ت121 هـ /738م). ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت852 هـ /1448م) تهذيب التهذيب، ط1، ج7، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند 1922 ص168.

(2) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص274. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص215-223. ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص15-18.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص224.

فلحقه بخانقين[1]، إلا أن شبيباً تظاهر بالانسحاب، أمام سفيان، ونصب له كميناً في شعب من الشعاب، فاتبعه ولم يلتفت إلى الكمين الذي باغت جند سفيان وألحق بهم الهزيمة، ففر سفيان حتى انتهى إلى بابل مهرود، وقد نجا بأعجوبة وكتب إلى الحجاج بالخبر[2]، فلما وصل كتاب سفيان إلى الحجاج، كتب إلى سورة بن الحر[3] يلومه ويتهدّده وكان قد تخلّف عن قتال الخوارج، ويأمره أن ينتخب من المدائن[4] خمسمائة فارس، ويسير بهم وبمن معه إلى شبيب ففعل ذلك سورة، فلما علم شبيب بخروجه أقبل بأصحابه حتى أتى النهروان، فصلّوا وترحّموا على أصحابهم الذين قتلهم علي رضي الله عنه، وتبرّؤوا من علي ثم التقوا بجيش سورة وألحقوا به الهزيمة ففرّوا حتى دخلوا المدائن، فلحق بهم الخوارج وهرب من بها من الجند نحو الكوفة[5].

ثم أرسل الحجاج الجزل وهو عثمان بن سعيد بن شرحبيل الكندي في أربعة آلاف ساروا في طلب شبيب الذي أسرع في مغادرة المدائن، وجعل يتنقّل من مكان إلى آخر ولا

---

(1) خانقين بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد، بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ لمن يريد الجبال، ومن قصر شيرين إلى حلوان ستة فراسخ، وبها قنطرة عظيمة على واديها تكون أربعة وعشرين طاقاً، كل طاق يكون عشرين ذراعاً. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص340.

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت808 هـ /1406م) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط2، ج3، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت 1988 ص192.

(3) سورة بن الحر التميمي، أمير سمرقند، وأحد رؤساء تميم، انتدبه الجنيد لنجدته وهو يقاتل الترك، فجاءه من سمرقند باثني عشر ألفاً، فاعترضه الترك، فقاتلهم حتى كشفهم، وكانوا قد أوقدوا ناراً خلفهم، فلما أغار سورة وأصحابه سقطوا في اللهيب، فقتل مع أكثرهم (ت112 هـ /730م). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص200.

(4) المدائن جمع مدينة، وإنما سميت بذلك لأنها كانت مدناً، كل واحدة منها إلى جنب الأخرى، فأولها المدينة العتيقة، ثم مدينة الإسكندر، ثم طيسفون، ثم أسفانبر، ثم الرومية واسمها بالفارسية توسفون وعربوه على الطيسفون والطيسفونج. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص74.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص440.

يقيم، وذلك لكي يفرّق الجزل قواته فيلقاه على غير تعبية، إلا أن الجزل بن سـعيد قـد فطـن لذلك، فكان لا يسير إلا على تعبية، ولا ينزل منزلاً إلا خندق على جيشه[1].

ثم بعث الحجاج سعيد بن مجالد على جيش الجزل، وأمره بالجد في قتال شبيب وتـرك المطاولة، فخرج سعيد ومعه الناس، وضمّ إليه خيول أهل العسكر متجاهلاً نصـيحة الجـزل بالتروّي، والتقى شبيباً في قطيطيا حيث انتهت المواجهة بقتل سعيد وهزيمة أصحابه[2].

ثم سار شبيب إلى الكوفة، فلما بلغ الحجاج مكانه بعث إليه سويد بـن عبـد الـرحمن السعدي في ألفي رجل وقال له: " اخرج إلى شبيب فالقه، واجعل ميمنة وميسرة، ثم انزل إليـه في الرجال فإن استطرد ذلك فدعه ولا تتبعه"[3]، وحمل شبيب ومن معه حملةً منكـرة علـى جيش سويد، فلم يقدروا منهم على شيء ففرّوا باتجاه الحيرة، فتبعه سويد بأمر مـن الحجـاج، فانسحب شبيب بجيشه حتى وصل قريباً من أذربيجان، فلما أبعد سار الحجاج إلـى البصـرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة، وعلم الحجاج أن شبيباً يقصد الكوفة فأسرع في الخروج من البصرة، وقصد الكوفة مسرعاً وبادره شبيب إلى الكوفة، فسبقه الحجاج إليهـا فدخلها عصراً، ووصل شبيب إلى المربد عند الغروب، فلما كان آخر الليـل دخـل الكوفـة،

---

(1) الطبـري، تـاريخ الرسـل والملـوك، ج6، ص231. مسـكويه، أحمـد بـن محمـد بـن يعقـوب (ت421 هـ /1030م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ط2، ج2، تحقيق أبو القاسم إمامي، الناشر سروش، طهران 2000 ص247.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص235. مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج2، ص277. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص443.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص236.

وقصد قصر الإمارة ثم سلك في طريق المدينة، وقتل رجالاً من أشرافها في طائفة كثيرة مـــن أهل الكوفة[1].

ثم استنفر الحجاج الناس، فخرج شبيب من الكوفة غير مبال بهم، فكـــان يكـــرّ علـــيهم ويهزمهم، وكان الحجاج يرسل إليه الأمراء واحداً بعد الآخر، فيُلحق بهـــم الهزيمـــة قلّـــوا أو كثروا واستفحل أمر شبيب حتى خافه الحجاج وسائر الأمراء، وخافه عبد الملك بـــن مـــروان خوفاً شديداً، فبعث إليه جيشاً من أهل الشام بإمرة سفيان بن الأبرد الكلبي[2]، وأمدّه بالمقـــاتلين من أهل الكوفة، بإمرة عتّاب بن ورقاء، فخرج إليهم شبيب بأصحابه فانهزم جيش الحجاج عن بكرة أبيهم راجعين إلى الكوفة وقُتل عتاب بن ورقاء واتجه شبيب نحو الكوفة، في الوقت الذي وصل فيه جيش الشام، فسار الحجاج بنفسه بجند الشام لملاحقة شبيب وأصحابه، فلما تواجـــه الفريقان دارت معركة طاحنة ثبت فيها الفريقان ثم تسلّلت فرقة من جنـــد الحجـــاج فباغتـــت أصحاب شبيب من الخلف، فصمد لها وقتل أخاه مصاد وزوجته غزالة، وكثيـــر مـــن جنـــده، وانطلق شبيب بمن بقي معه، وعاد نحو الكوفة لخرجت له السرايا الواحدة تلو الأخرى فكـــان يردّها وينتصر عليها، ثم اتجه شبيب نحو الأهواز، فطارده نائب الحجاج على البصـــرة، زوج

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص236. ابن الأثير، الكامل في التـــاريخ، ج3، ص444. ابـــن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص19. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومـــن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج3، ص193.

(2) سفيان بن الأبرد بن أبي أمامه بن قابوس الكلبي، من بني جبار كانت داره بدمشق بجيرون، وكان بدمشق يوم خطب الضحاك بن قيس ودعا إلى بيعة ابن الزبير، وكان هوى سفيان وحسان بن مالك بن بحدل مع بني أمية، وولي بعض الشام لبني أمية، وكان مع عبد الملك حين حاصر عمرو بن سعيد، ولما غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية، كان معه سفيان بن الأبرد، ولما حمل يزيد على أحد أبوابها كان معه ســـفيان فأصيب بجراح، فدعا يزيد بأحد الأطباء، فعالجه حتى برئ من طعنته (ت84 هـ /703م) ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت571ه/1176م) تاريخ مدينة دمشق، ج21، تحقيق عمرو بـــن غرامـــة العمروي، دار الفكر، 1995 ص341-343.

ابنته الحكم بن أيوب بن الحكم بن عقيل[1]، فلحق به على رأسٍ جيش كبير وألحق به هزيمة نكراء إلى أن وصلوا جسراً هناك على نهر دجيل، بالأهواز فوقف شبيب مع مائة من أصحابه يقاومون جند الحجاج ، خوفاً أن يعمدوا إلى قطع الجسر، ثم اجتاز شبيب الجسر فكبا به جواده وهو على الجسر فسقط في الماء وغرق لكثرة ما عليه من دروع وذلك سنة 76 هـ / 695م[2].

---

(1) الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفي هو ابن عم الحجاج، ولاه الحجاج على البصرة لما كان في العراق، ثم عزله، ثم أعاده، وقتله صالح بن عبد الرحمن الكاتب مع جماعة من آل الحجاج، في العذاب على إخراج ما اختزنوه من الأموال، بأمر سليمان بن عبد الملك، في خلافته سنة (97ه/715م). الزركلي، الأعلام، ج2، ص266.

(2) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص274-275. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص266-268-279-282-289-291. ابن أعثم، أحمد بن محمد بن علي (ت314ه/926م) الفتوح، ط1، ج7، تحقيق علي شيري دار الأضواء، بيروت، 1991 ص59-63. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص455-459. ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص15-20.

الفصل الثالث

(المهلب بن أبي صفرة 7-83هـ/ 628-702م)

المبحث الأول: سيرة حياة المهلب

أبو سعيد بن ظالم بن سراق الأزدي العتكي، المكنى بأبي صفرة إذ كانت له بنت اسمها صفرة، وهو من الأزد[1] أزد دبا[2] في عُمان[3]، ومما تقدم نرى أن نسب المهلب ينتهي إلى الأزد من سبأ وهي من القبائل المشهورة في بلاد اليمن، وهذا يخالف ما ذكره آدم متز في القول نقلاً عن ابن رسته: " وأما المهلب بن أبي صفرة فقد كان فارسياً مجوسياً حائكاً[4]، وما ذكره ياقوت في معجم البلدان من أن أبا صفرة كان فارسياً يعمل في النسيج، نزح إلى بلاد عُمان، وكان يُشار إليه بكلمة (بسخره) وتعني اغتصاب السفن لخدمة الملك[5].

---

(1) بنو الأزد هم حي من كهلان من القحطانية، وهم بنو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان. وكان أهل دبا أسلموا في عهد رسول الله- صلّى الله عليه وسلم- ثم ارتدوا بعده ومنعوا الصدقة، فوجه إليهم أبو بكر عكرمة بن أبى جهل، فقاتلهم فهزمهم، وأثخن فيهم القتل، وتحصن فلّهم في حصن لهم، وحصرهم المسلمون، ثم نزلوا على حكم عكرمة، فقتل مائة من أشرافهم، وسبى ذراريهم، وبعث بهم إلى أبى بكر، وفيهم أبو صفرة غلام لم يبلغ، فأعتقهم عمر - رضى الله عنه- وقال: اذهبوا حيث شئتم، فتفرقوا، فكان أبو صفرة ممن نزل البصرة. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276 هـ /889م) المعارف، ط2، تحقيق ثروت عكاشة

الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992 ص399. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت821 هـ /1418م) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط2، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، بيروت 1980 ص91.

(2) دبا: سوق من أسواق العرب بعمان، غير دما، بالميم، وهى سوق أيضا. ودبا: مدينة عظيمة مشهورة بعمان كانت قصبتها، ولعل السوق كانت عندها، ودبا، بالضم، وتشديد ثانيه: من نواحي البصرة، فيها أنهار وقرى، ونهرها الأعظم الذي يأخذ من دجلة. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص435.

(3) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت168 هـ /785م) الطبقات الكبرى، ط1، ج7، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1990 ص93. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص350. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص303. زامباور، معجم الأنساب، ج1، ص14-18.

(4) متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج1، ص347.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص337.

وقيل عدّلت كلمة (بسخره) إلى صفره، وأصبح يُكنّى بهذا، وهو قول غريب بعيد عن الواقع، وأبو صفرة هو ظالم بن سراق، وقيل في مصادر أخرى غالب بن سراق[1]، وقيل ظالم بن سارق[2]، ولكن معظم المصادر تتفق على أنه ظالم بن سراق[3].

يذكر ابن قتيبة أن أبا صفرة لم يكن في السبي الذي ورد على أبي بكر، وإنما ورد على الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وهذا ما تؤيده هذه الرواية، أن أبا صفرة ورد على الخليفة الثاني مع الحكم بن أبي العاص أخو عثمان بن أبي العاص الذي استعمله عمر بن الخطاب على عُمان[4].

إن الرواة كانوا قد تناولوا عدة روايات مصدرها أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأما الهيثم بن عدي وهما مغرمان ومهتمّان بجمع المثالب والتأليف فيها، يقول الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش الهمذاني: " وفد ابن الجلندي في الأزد – أزد عمان– ومواليهم وأحلافهم، فكان في من دخل منهم أبو صفرة، وكان يلقب بذلك لأنه يصغّر لحيته فدخل على عمر، مع ابن الجلندي ولحيته مخضوبة مصفرة، وقال عمر لابن الجلندي : " أكلّ من معك عربي؟ قال:

---

(1) ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر (ت475 هـ /1082م) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط1، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت1990 ص125.

(2) الرازي، عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم (ت327 هـ /938م) الجرح والتعديل، ط1، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت1952 ص503.

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص93. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص350. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص303.الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764 هـ /1363م) الوافي بالوفيات، ج16، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت 2000 ص181.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص273.

لا فينا العربي وفينا غير ذلك، فالتفت عمر بوجهه إلى أبي صفره فقال له: " أعربـــي أنـــت؟ قال: لا أنا ممن منّ الله عليه بالإسلام[1].

ووردت روايات أن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- أكرم المهلب، وعقـد لـه اللواء يوم الجمل، ولكن على ما يبدو أن تغير الموازين أثّر في مواقف المهلب، فبعدما رجحت كفّة بني أمية تحول المهلب إلى السفيانيين، حيث دارت الدائرة على أتباع علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-، ولم يكن الموقف السياسي إلى جانبهم[2].

يقول خليفة بن خياط: " وجه ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة إلى سجستان ومعه فـي تلك الغزاة (الغزوة) الحسن بن أبي الحسن والمهلب بن أبي صفرة وقطري بن الفجاءة فـافتتح زرنج[3] وكوراً من كور سجستان ......" وذلك سنة 42 هـ /662م [4]، وإن هـذه الروايـة نجدها تماماً بنفس المعنى عند البلاذري في كتابه فتوح البلدان [5]، وقد عقر المهلب الفيل على باب من أبواب كابل عندما استعصت على المسلمين حسب رواية أبي مخنف[6]، وأصبح جندياً جندياً من جنود السفيانيين عندما تمكن معاوية من الحكم، ويروي خليفة بن خياط في تاريخـه والبلاذري في فتوحه أن المهلب غزا أرض الهند سنة 44 هـ /664م وبعض كورها فأصاب سبياً وغنائماً كثيرة في قندابيل[7] ما بين بنه[8] وألا هور [9]، وفي هذه الغزوة ظهرت عبقرية عبقرية المهلب العسكرية عندما رأى القوم قد حذفوا الخيل، فقال : " ما جعل هؤلاء الأعـاجم

---

(1) الأصبهاني، الأغاني، ج20، ص86.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص283.

(3) زرنج مدينة هي قصبة سجستان، وسجستان اسم الكورة كلها. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص138.

(4) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص205.

(5) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279 هـ /892م) فتوح البلدان، دار ومكتبة الهـلال، بيـروت 1988 ص384.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص384.

(7) قندابيل هي مدينة بالسند وهي قصبة لولاية يقال لها الندهة. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص402.

(8) بنه مدينة بكابل. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص500.

(9) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص206. البلاذري، فتوح البلدان، ص417.

أولى بالتمشير منا فحذف الخيل فكان أول من حذفها من المسلمين"[1]، وفـــي ســـنة 50 هــــ /670م طمع زياد في أهل جبل الأشل لثرائهم، فطلب من الحكم بن عمـــرو الغفـــاري والـــي خراسان أن يغزوهم، فغزاهم وبينما كان ينفذ ما خرج من أجله، وقع في كمـــين مـــع جيشـــه وحوصر في الشعاب، وأسقط في يده، فرأى أنه عاجز أمام هذا الحصار من الفك فأسند الأمر وقيادته إلى المهلب بن أبي صفرة " فلم يزل يراود الصد ويتحين الفرص حتى وقع عظيم مـــن عظمائهم في يد المهلب، فقال له: اختر بين أن أقتلك، وبين أن تخرجنا من هذا المضيق، فقال له: أوقد النار حيال الطريق من هذه الطرق، ومر بالأثقال فلتوجه نحوه، حتى إذا ظن القـــوم أنكم قد دخلتم الطريق لتسلكوه فإنهم يستجمعون لكم، ويعرون ما سواه من الطـــرق، فبـــادرهم إلى غيره فإنهم لا يدركونك حتى تخرج منه ففعلوا ذلك، فنجا وغنموا غنيمة عظيمة[2].

ومما يُذكر في سيرة المهلب أن علاقته كانت بزيـــاد بـــن أبيـــه (ت53 هــــ /673م) يسودها التوتر أحياناً، إذ يذكر البلاذري أن زياداً حين قصد الكوفة كان عاتباً على المهلـــب " فشيعة المهلب مع من شيعه، وزياد على بغلة ورد عليها رحالة وتحته قطيفة حمراء (كســـاء)، وعليه قباء، فسار والناس معه، فدنا المهلب منه فاعتذر إليه، فقبل عذره وقال: إذا عدت وليتك خراسان، فمات في وجهه ذلك"[3]، ولعل زياداً توسّم في المهلب القيادة والمزايا الادارية التـــي جعلته يعده بذلك.

وظل أخبار المهلب ترد في المصادر التاريخية وهو بين الجيوش مقاتلاً فذاً، فها هـــو يغزو مع سعيد بن عثمان بن عفان والي خراسان سنة 56 هــ /676م، وقد فقد المهلب إحدى

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص417.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص251.
(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص232.

عينيه أثناء محاصرة سمرقند وكذلك سعيد فقد عينه في حصار سمرقند وفي ذلك يقول المهلب:

لئن ذهبت عيني لقد بقيت نفسي ... وفيها بحمد الله عن تلك ما ينسي

إذا ما جاء أمر الله أعيا خيولنا ... ولا بد أن تعمى العيون لدى الرمس[1].

وقد قدم المهلب خراسان في صحبة عدد من الأمراء سنة 61 هـ /680م منهم سلم بن زياد واليها، وقد قام المهلب في هذه الغزوة بعمل عسكري أكسبه حظوة عند سلم، إذ أن ولاة خراسان درجوا على سنة هي مهادنة أمراء خوارزم[2]، فحين يحل الشتاء يرحلون ويتركون البلاد مفتوحة، فما على الأعداء إلا أن يتجمعون ويسيطرون عليها مرة أخرى وهكذا، ولكن المهلب هذه المرة أراد أن يغير النظام الروتيني عند هؤلاء الولاة، فاستطاع أن يقنع سلم بن زياد بعد إلحاح طويل أن يتقدم بهذا الشتاء إلى مكان تجمع الأعداء ويهاجمهم، فاستجاب سلم بن زياد إلى ذلك، فتقدم المهلب وهاجمهم وأجبرهم على الصلح فصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف، قال: " وكان في صلحهم أن يأخذ منهم عروضاً، فكان يأخذ الرأس بنصف ثمنه، والدابة بنصف ثمنها، والكيمخت[3] بنصف ثمنه، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف، فحظي بها المهلب عند سلم، واصطفى سلم من ذلك ما أعجبه، وبعث به إلى يزيد مع مرزبان مرو[4]، وأوفد في ذلك وفداً[5].

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص353.

(2) خوارزم اسم لناحية كبيرة عظيمة قصبتها الجرجانية، أهلها يسمونها كركانج، وهى ولاية متصلة العمارة، متقاربة القرى، وأكثر ضياعها مدن ذات أسواق؛ وهى على جيحون. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص487.

(3) الكيمخت: ضرب من الجلود. ابن سيده، علي بن اسماعيل (ت458 هـ /1066م) المخصص، ط1، ج1، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1996 ص404.

(4) مرو أشهر مدن خراسان وقصبتها. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص112.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص473.

وفي ولاية سلم أسهم المهلب اسهاماً كبيراً في هزيمة خاتون بخارى[1]، وكان على رأس قوة الاستطلاع التي ذهبت للتعرف على أحوال العدو وقد خاض معارك غير متكافئة حتى جاءه المدد من سلم بن زياد[2].

وعند موت يزيد بن معاوية اضطربت الأحوال واختلت الموازين في الدولة وظهر الطامعون، فأخذ سلم بن زياد البيعة من أهل خراسان ريثما يتفق الناس على خليفة لهم، ولكن بيعته سرعان ما نكثت فغادر سلم خراسان وولي المهلب عليها لما توسمه فيه من مقدرة عسكرية وحنكة إدارية في كل ما أسند إليه من أمور، فظهرت النعرات القبلية، وعلى إثر ذلك تمكن عبد الله بن خازم من أخذ البيعة لنفسه من ابن زياد، فترك المهلب خراسان وخلف عليها جشمي، قتل بعدها الجشمي بعد منازعات مع عبد الله بن خازم[3]، ويبدو أن المهلب ترك الولاية خوفاً من الفتنة، وأن السلطة أصبحت ضائعة إلى جانب أن قبيلته لم تكن بذلك العدد الذي يحميه ويدافع عنه في خراسان وتجلى ذلك في قول عبد الله بن خازم لسلم عندما سأله من ولّيت على خراسان؟ قال: المهلب فقال: أما وجدت في مضر رجلاً تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل ومزون عمان! وقال له: اكتب لي عهداً على خراسان، قال: أوالي خراسان أنا! قال: اكتب لي عهدا وخلاك ذم[4]، كما أن المهلب أوقع ما بين قيس وتميم عندما عيّن الجشمي فقتله عبد الله بن خازم.

---

(1) بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يعبر إليها من آمل الشط، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه، وكانت قاعدة ملك السامانية. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص353.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص326.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص603.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، 546.

وبعد أن تطورت حركة ابن الزبير كحركة معارضة وقوية للدولة الأموية انضم المهلــب إليها، وما يُلاحظ أن المؤرخين لم يلتفتوا كثيراً إلى المهلب في ظل السفيانيين، فجاءت أخبـــاره غير متكاملة يعتريها البتر.

والذي يظهر أن نشاط المهلب العسكري تركز في الأقاليم الشرقية من الدولـــة الأمويـــة، وهذا الذي أكسبه وأعطاه خبرة بطبيعة المنطقة، وهو ما أفاده في حروبه مع الخـــوارج وإدارة إقليم خراسان حين أصبح والياً عليه، وتعرّف أيضاً على طبيعة الأعــداء المجـــاورين لهــذا الإقليم، فقد عرف بتجمع الأتراك في خوارزم مع سلم بن زياد وهذا ما ساعده علـــى توجيـــه الأمور الداخلية والخارجية بنجاح منقطع النظير في ولايته[1]، وهنا لا بد من إيراد مـــا قالـــه الذهبي في كتابه العبر في خبر من غبر عن الذهبي إذ قال: " لم أر أميـــراً أيمـــن نقيبـــةً، ولا أشجع لقاءً، ولا أبعد مما يكره، ولا أقرب مما يحب من المهلب[2].

المبحث الثاني: المهلب والحجاج

حين توفي بشر بن مروان أرسل عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفي ليكون والياً جديداً على العراق فخطب فيهم خطبة جاء فيه على ذكر المهلب بن أبي صفرة فقال: " ألا وإن أمير المؤمنين أمرني لإعطائكم أعطياتكم وإشخاصكم إلى محاربة عدوكم مع المهلب، وقد أمـــرتكم بذلك، وأجلت لكم ثلاثاً، وأعطيت الله عهداً يؤاخذني به ويستوفيه مني أن لا أجد أحداً من بعث المهلب بعدها إلا ضربت عنقه، وانتهبت ماله.........." [3].

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص473.

(2) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748 هـ /1347م) العبر في خبر من غبر، ط1، ج1، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت 1985 ص70.

(3) المبرد، الكامل في اللغة، ج1، ص299. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص204. المســـعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص404. الأصفهاني، الأغاني، ج7، ص92.

وكان أول شيء عمله الحجاج أن قتل الذين لم يسارعوا إلى صفوف عسـكر المهلـب، وذلك لإنجاح التعبئة العامة التي صرّح عنها في خطبته، فقتل عمير بن ضـابئ البرجمـي[1]، وبهذا العمل فإن الحجاج قد أخاف الناس وأدخل في قلوبهم الرعب بحيث أنهم أخذوا يتدافعون على الجسر أصدر أوامره ببقائه مفتوحاً ثلاثة أيام، وأمر ببناء جسر ثاني ليتمكن النـاس مـن اللحاق بالمهلب[2].

ويبدو أن هذه الإجراءات قد راقت كثيراً للمهلب الذي قال: " قدم العراق رجل ذكـر"[3]، فكتب الحجاج إلى المهلب يشد على يديه بما أرسل إليه من الجنود: " أما بعد؛ فإن بشراً رحمه الله استكره نفسه عليك، وأراك غناءه عنك، وأنا أريك حاجتي إليك، فأرني الجـد فـي قتـال عدوك، ومن خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله، فإني قاتل من قبلي، ومن كان عنـدي مـن ولي من هرب عنك فأعلمني مكانه، فإني أرى أن آخذ الولي بالولي، والسـمي بالسـمي"[4]، فالحجاج بحاجة إلى المهلب الذي لم يقدّره بشر حق تقديره، وهذا ما أثبتتـه الأيـام اللاحقـة فالمهلب هو القائد الذي استطاع أن يضع حداً للخوارج الأزارقة، وردّ عليه المهلب برسالة قال فيها: " ليس قبلي إلا مطيع، وإن الناس إذا خافوا العقوبة كبروا الـذنب، وإذا أمنـوا العقوبـة صغروا الذنب، وإذا يئسوا من العفو أكفرهم ذلك، فهب لي هؤلاء الذي سميتهم عصاة، فإنمـا هم فريقان أبطال، أرجو أن يقتل الله بهم لعدو ونادم على ذنبه[5].

لقد استطاع المهلب بما وصل إليه من جند أن يسجل ملحمة رائعة تجلّت فيها شخصـيته القتالية المتطورة بالأسلوب والتنظيم رغم ما يتفوق به الطرف الآخر من امكانيـات وقـدرات

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص208-209.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص205.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص207.
(4) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص262.
(5) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص262.

قتالية يستعذب أفرادها الموت كسباً وغنيمة في سبيل إلحاق الضرر بعدوهم(1)، وكان المهلب بجيشه الجديد أكثر كثافةً وتفوقاً بالمدد المستمر وإن كان الطرف الآخر أكثر دراية في القتال، إلا أن المهلب استطاع أن يحدث الشلل بجيش عدوه وأن يحقق بعض المكاسب، وأن يخلخل تحركاتهم نحو الشرق فأجبرهم على نزول السردن(2)، ولكنه لم يسمح لهم بالاستقرار حتى تركوها واتجهوا صوب سابور(3)، واستمر في ملاحقتهم ومتابعتهم حتى أجبرهم على ترك منازلهم واحداً تلو الآخر، كما أنه نزل في كازرون بعد أن مرّ على أرجان(4)، وذلك استعداداً لملاقاة الأزارقة الذين قرّروا بدورهم مواجهة المهلب لشدة ما أنزل بهم من عناء وتعب إلى جانب ما أفقدهم من الأراضي التي أصبحت تحت سلطة المهلب(5)، وهنا لا بد من الإشارة إلى إلى أن المهلب لم يكن القائد العام للجيوش بل قائد أهل البصرة ويشاطره الأمر عبد الرحمن بن مخنف على أهل الكوفة.

ونلاحظ هنا أن المهلب تميز عن ابن مخنف بقدرات عسكرية فائقة افتقدها الأخير، فتراه غير مهتم ولا يبيت وهو على تعبئة كما هو الحال عند المهلب، فترك الأزارقة يحققوا نصراً دفع ثمنه حياته وقسماً من رجاله، فبحسب رواية الطبري وابن مبرد أن الأزارقة أرادوا أن يوقعوا بجيش المهلب ففاجأوه، لكن كان على أهبة الاستعداد، إذ دارت معركة قوية طلب على إثرها المساعدة من عبد الرحمن بن مخنف فساعده، فاستغل الطرف الآخر الموقف وهجموا

---

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص262.

(2) السردن كورة بين فارس وخوزستان من أعمال فارس. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص210.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص212. سابور بلدة ولاية بين خوزستان وأصبهان. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص167.

(4) أرجان مدينة بين فارس وأهواز. الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله (ت900 هـ /1495م) الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت 1980 ص25.

(5) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص270. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص213.

عليه وهم يشاغلون المهلب فحققوا النصر[1]، وعن هذا الحدث بادر بعض الشعراء وألصقوا بالمهلب تهمة التخاذل عن نصرة ابن مخنف، لما يكنه عليه من حقد وحسد وهذا حسب رواية الكوفيين، فهذا شاعر يقلل من قيمة المهلب ويحط منها وذلك عندما يقول:

أمد ولم يمدد فراح مشمراً ... إلى الله لم يذهب بأثواب غادر[2]

فإنه يشير إلى أن المهلب لم يسارع إلى نجدة ابن مخنف حسداً وضغينةً، ومن الإنصاف القول أن ابن مخنف لم يكن محتاطاً لمفاجأة الأزارقة، وبما أنه استخف بهم فقلل من أهميتهم حتى أصبح وجهاً لوجه معهم، فأثبت بطولته وشجاعته ولكنه لم ينجُ من حتفه، ومهما قيل في هذا الموقف فإنه عدم احتراز من ابن مخنف واستعداده التام بكل وقت.

وما كان من المهلب إلا أن ألحق جند الكوفة بجند البصرة، وخاصة عندما عاب أهل البصرة على أهل الكوفة هزيمتهم فردّ قائلاً: " بئسما قلتم! والله ما فروا ولا جبنوا، ولكنهم خالفا أميرهم، أفلا تذكرون فراركم يوم دولاب، وفراركم بدارس عن عثمان........" [3].

إن الأسلوب الذي اختطّه المهلب مع الخوارج هو التروي والأناة، ويبدو أن هذه الأمور لم ترق للحجاج الذي كان مستعجلاً لحسم الموقف مع الخوارج ووضع حد لهذا التمرد، ولكن الأمر ليس بهذه السهولة ولا يمكن لأحد الطرفين من حسم الموقف، وما كان الأزارقة ضعافاً، بل كانوا أكثر جلداً وتصميماً على إضعاف الدولة الأموية وإزالتها، ومع كل نداء للحرب تجد الأزارقة حاضرين ومتأهّبين، ففسّر الحجاج موقف المهلب المتمثل بالأناة والصبر وعدم

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص212.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص434.

(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص265.

مهاجمتهم حتى يهاجموا بالتخاذل والمطاولة المتعمدة من قبل القائد، فقرّر الحجــاج أن يرســل إلى المهلب كتاباً يتوعّده ويحذّره من غضبه إذا استمر على هذا الموقف[1].

والذي يظهر أن رسالة الحجاج كانت تحمل في جنباتها تحدياً حقيقياً، لكن المهلــب لــم يغضب بالرغم من أنها تحمل طابع العبية القبلية وهذا واضح في قولــه: " وليتــك وأنــا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشي وعباد بن حصين الحبطي، واخترتك وأنت من أهل عُمان، ثم رجل من الأزد"، ومع هذا لم يخرج المهلب عن طاعة الحجاج رغم إلحاحه الشديد والمتزايــد واتهامه بالتخاذل، لأن المهلب أخذ جانب الأمويين طريقاً معتمداً علــى حُســن رأيهــم فيــه، وخاصة عبد الملك بن مروان ما دامت توجيهات الحجاج تحقق مصلحة الأمــويين، ومــا دام المهلب نفسه يقاتل لرفع الراية نفسها، فلا خلاف بينهما على الهدف وإن اختلــف الأســلوب، ويظهر ذلك في قول المهلب: " فإن خليتني ورأيي فذاك داء محســوم وقــرن مفصــوم، وإن عجلتني لم أطعك ولم أعصك، وكان وجهى إليك بإذن منك، وأنا أعوذ بالله من سخط الأمــراء ومقت الأئمة "[2]، فهو بذلك يقدّم مصلحة الأمة والمسلمين على مصلحته ومطامعه الشخصية، ويظهر هذا من مواقفه الجادة نحو الأزارقة والقضاء عليهم، وبردّه على نصيحة عبد الــرحمن بن صالح حيث قال: " إنه ليس برأي قتل هذه الأكلب، ولئن والله قتلتهم لتقعدن في بيتك، ولكن طاولهم وكل بهم، فقال: ليس هذا من الوفاء[3].

---

(1) كتب الحجاج إلى المهلب : " أما بعد، فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العــدو، وإني وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشي وعباد بن حصين الحبطي، واخترتك وأنت مــن أهل عُمان، ثم رجل من الأزد، فالقهم يوم كذا في مكان كذا، وإلا أشرعت إليك صدر الرمح". المبــرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص263.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص278.

(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص259.

استمر المهلب يلتقي بالخوارج مسجلاً نصراً تلو الآخر، والحق يقال أنه سـجّل بداية الانهيار لشوكة الخوارج الأزارقة، ولكن هذه الأمور لم تكن سريعة مثلما يريد الحجـاج، بـل كانت وفق ترتيب مدروس لدى المهلب الذي ينفّذ العملية العسكرية بدقة واتقان، شاقّاً الطريـق نحو معاقل الأعداء، فـأفقدهم معظم جيشهم، وأصابهم بالتشرذم والانكفاء الذي أخذ يبشّـر أن الموقف خرج من أيديهم وانتقل إلى يد المهلب صاحب الثغور والمتمرّس بمواجهة المتمـرّدين على الدولة والخارجين على السلطة، والتي يمثل المهلب أحد أركانها بمـا يبذلـه مـن جهـد واخلاص في سبيل دعمها وتقويتها وتأديب الخارجين عليها، وهذا يؤكده كتاب عبد الملك الذي أرسله بدوره لواليه بالعراق أن يترك المهلب وشأنه في خراج فارس الذي أخذها منه واليـه، وهذا نص الكتاب " أما بعد، فدع بيد المهلب خراج فارس وحيالها، فإنه لا بد للجيش من قـوة، ولا لصاحب الجيش من معونة، ودع له كورة فسا[1] ودار بجرد[2]، وكورة إصطخر [3]، فمـا كان من الوالي إلا أن استجاب لطلب الخليفة وردّ للمهلب خراج فارس[4]، ليسـتعين بـه فـي إمداد الجيش وتموينه، ليرفع من معنوياته ويكسب ثقة جنده، وهذه تعتبر مـن أهـم عوامـل النصر لأنها تصنع تلاحماً بين القائد والجند، ينعكس بمواقف ايجابية، ولها مردود حسن علـى الجيش والقائد معاً، ونتائجها الايجابية تكون دعماً للنظام والسلطة القائمة.

---

(1) فسا مدينة بفارس، أنزه مدينة بها، بينها وبين شيراز أربع مراحل، وبينها وبين كازرون ثمانية فراسـخ. وهي مدينة قديمة كبيرة، لها حصن وخندق وربض، وبناؤهم من طين. الحموي، معجـم البلـدان، ج4، ص260.

(2) داربجرد كورة بفارس نفيسة، منها فسا، وهي كثيرة المعادن، طيبة الهواء، وبها قبة الموميا. الحمـوي، معجم البلدان، ج2، ص446.

(3) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج2، ص320. إصطخر مدينة من كور فارس ولها نواح، وهـي مدينة كبيرة جليلة كثيرة الأرزاق والتجارات بناؤها بالطين والحجارة والجص، وهي أقدم مدن فـارس وأشهرها اسماً، وكانت دار ملوكها إلى أن ولي اردشير الملك فنقل ملكهم إلى جور وجعلها دار الملك. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص43.

(4) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص277.

وإن الخوارج لم يكونوا لقمة سهلةً بل كانوا شوكة حادةً لا بد من دفــع الــثمن غاليــاً لاقتلاعها، وهذا الذي غاب عن بال الحجاج مما دفعه للوم المهلب واتهامه، فظهر ذلــك فــي إرسال الرسائل والوفود المتعددة الذين كان الحجاج يرسلهم إثر بعضهم، فقد أرسل رسالةً مــع البراء بن قبيصة هذا نصها " إنك لتحب بقاءهم لتأكل بهم، وقد بعثت إليك البراء بــن قبيصــة ليستنهضك، فانهض إذا قدم عليك بجميع المسلمين وإياك والعلل والأباطيل[1]"، وهــذا الكتــاب يبين مدى التحامل وعدم الثقة من الحجاج، والذي كان يزيد الأمر تحرجاً لدى الحجاج ويرفــع من قيمة المهلب رسله الذين كان يرسلهم لساحات القتال لتحريك المهلب، فيرجعون وهم فــي صف المهلب، وقد أعذروه ما يلاقيه من قساوة من في لقاء خصمه ومــا يبديــه مــن قــدرة واخلاص في اللقاء فيسقط الحجاج بيد نفسه، ولم يجد طريقاً توصله للانتقام مــن المهلــب أو موقف يؤدي إلى زعزعة الثقة بهذا القائد، فهذا رسوله يقول للمهلب: " لا والله ما رأيت كبنيك فرسانا قط، ولا كفرسانك من العرب فرسانا قط، ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط أصــبر ولا أبأس، أنت والله المعذور..." [2]، ثم ينقل الصورة إلى الحجاج بشكل أشد وأقوى عــن موقــف المهلب وجنده، وصلابة الأعداء وضراوتهم في اللقاء والهجوم، ولكن الحجاج لم يغير موقفــه، بل استمر بإرسال الرسائل والوفود واحداً تلو الآخر، ومع ذلك ظل المهلــب مطيعــاً مــذعناً بالأمر، رغم ما تشير إليه هذه التهم من إثارة وشك، إلا أنه بقي يصارع الأعداء، فتراه يعرف جنده جيداً ويل بأحوالهم، ويعرف أن منهم صاحب رأي سديد، فيقول عن أحد جنــده واســمه بيهس : " ما يسرني أن في عسكري ألف شجاع بدل بيهس بن صهيب، فيقال له: أيها الأمير،

---

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص265.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص302.

بيهس ليس بشجاع، فيقول: أجل، ولكنه سديد الرأي محكم العقل، وذو الرأي حذر سؤول، فأنا آمن أن يعتقل، فلو كان مكانه ألف شجاع قلت: إنهم ينشامون[1] حين يحتاج إليهم"[2].

يضاف لذلك أنه ما ترك أمراً إلا أشرف عليه بنفسه، سواءً الحراسة وتفقد أمرها وأمر الجند ونوعيات الحراسة، وخاصة ليلاً، فلا ينام إلا بعد أن يتم كل أمور اللقاء فيما لو تعرض لهجوم سريع مفاجئ، وهذا ما جعل منه قائداً لا يخدع، وأعطته حنكة وسمعة لدى أصحاب النظام وكذلك الأعداء على حد سواء، ولعل هذه الميزات هي التي أدت لكثرة حساده ومنافسيه في السمعة ولربما كان الحجاج أحد هؤلاء الأشخاص.

إن المهلب لم يترك حيلةً إلا عمل بها، ولا مكيدةً إلا استخدمها، لعله يجد عند الأعداء فجوةً ينقضّ منها على الأعداء، ولكن من سير المجريات يبدو أن الأمور أصعب مما يخطط المهلب، وأكثر غرابةً مما يخيله الحجاج، الشديد الإلحاح على قائده ليحقق حسماً للموقف مع خصمه، ولكن العجب يبدو أكثر عندما يكون الرأي للحجاج البعيد عن ساحات القتال، والتنفيذ بيد المهلب الذي يتلقى أمر الحجاج دون إدخال عامل المراقبة ومعرفة الأعداء[3].

لم يترك المهلب الرسل تنقل الأخبار بين الطرفين بل إنه أشركهم بالقتال والمشاهدة، حتى يكونوا على علم بما يدور في ساحات المعارك، وكانت نتيجة ذلك أن قُتل بعض الرسل في المعارك الدائرة، وبعضهم هرب من الخوف ونقل الواقع لسيده في العراق، لدرجة أن الحجاج استنكر المدح والثناء على المهلب، ولكن الرسل كانوا يثبتون صدق موقف المهلب وولائه.

---

(1) ينشامون من إنشام الشيء، دخل وأختبأ، يريد أنهم يكون بمعزل مخافة أن ينتقلوا. ابن سيده، المخصص، ج1، ص497.

(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص267.

(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص267.

واستمر المهلب يصارع خصومه الأزارقة بجيشه المكون من جنـد البصـرة وجنـد الكوفة[1]، وظل يحقق تقدماً ملموساً إلا أنه لم يكن حاسماً، فمعروف ذلك الطابع الذي لم يسمح لجند الكوفة بالتوحد بشكل كامل مع جند البصرة، ولنا أن نسميه طابعاً مكانياً أكثر مـن كونـه طابعاً قبلي، فالحجاج يرسل عتاب بن ورقاء التميمي سنة 76 هـ /695م ليكون قائداً لأهـل الكوفة، وقد سحبه من ولاية أصفهان[2].

وصل عتاب والجيش في فتوح أهل البصرة فكانت الإمارة للمهلب، ويبدو أنه قبل ذلك على كره منه ولم يرق له أن يكون أمره إلى المهلب، ومما زاد غضبه شدّةً أن الحجاج أمـره أن لا يعمل عملاً إلا بعد مشورة المهلب، ولكن الذي يبدو عليه أن عتاب لـم يهـتم بتوصـية الحجاج، فأخذ يعمل منفرداً دون الرجوع للمهلب، حتى أن الأمر وصل إلى موقف لا يمكن أن يكون فيه لقاء موحد ولا يمكن أن يكون انسجام بين القائدين، وخاصةً بعدما وزّعت العصـبية الجيش حسب الانتماء المكاني (البصرة والكوفة)، فأخذ عتاب يستشير المهلب وطالبه بحقـوق أهل الكوفة متهماً إياه بتحيّزه لأهل البصرة دون أهل الكوفة وفي هذا يقول: " قد كان يبلغنـي أنك شجاع فرأيتك جباناً، وكان يبلغني أنك جواد فرأيتك بخيلاً، ولن أبرح حتى تـرزق جنـد الكوفة كرزق أهل البصرة"[3].

وعلى ضوء ذلك اشتد الصراع بين القائدين وتبادلا الشتائم، ولم يضع حداً لهذه الفتنـة إلا رجولة ودهاء وحلم المغيرة بن المهلب فسعى بين الطرفين، وأقنع أباه وحسم الموقف دون مواقف سلبية التي قد يترتب عليها فيما لو زاد الموقف إلى لقاء وقتال بين أهل البصرة وأهـل

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص265.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص213.
(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص271.

الكوفة[1]، وهذا يشكّل خدمة عظيمة للخوارج، وتهديد للنظام والسلطة الأموية في بلاد الشام التي كانت تنتظر القضاء على تمرد الخوارج.

ولكن عتاب بعد هذا الشجار لم يبق طويلاً وخاصةً أن الحجاج أصبح في أمس الحاجة إليه، فاستدعاه للعراق وقد مرّ على وجوده مع المهلب ثمانية أشهر[2]، وخاصةً أن العلاقة بينه وبين المهلب أصبحت تتوتر وكادت أن تؤدي إلى فتنة قبلية، وفي هذا الجو المشحون بالعصبية يبدو أن المهلب أصبح متحمساً لتقوية الحلف بين الأزد وبكر بن وائل[3].

ثم بعد أن رحل عتاب عيّن المهلب ابنه حبيب على رأس جيش الكوفة، واستمرا يقاتلان الأزارقة سوياً في سابور حتى تم إجلائهم عن فارس بصورة شبه تامة فذهبوا إلى كرمان وحصّنوا أنفسهم في جيرفت[4]، واستعدوا للقيام بهجمة معاكسة كان الهدف منها كسر شوكة المهلب والقضاء على جيشه نهائياً، ولكن المهلب لم يتركهم دون قتال بل استمر يقاتلهم ويناوشهم في معارك جانبية صغيرة متحاشياً الدخول معهم في معركة حامية تحسم الموقف، لأنه كان يرى أن الوقت لم يحن فحاول أن يضعف صفهم ويمزق كلمتهم وذلك بإلقاء الشكوك بين صفوفهم وخاصة القادة، وقد نجح المهلب في ذلك، فسرعان ما ظهرت الخلافات بين الأزارقة.

وكان أول نتائج هذه الخلافات أن انفصل ثمانية آلاف بقيادة عبد ربه الصغير عن قطري بن الفجاءة الذي كانت معه أغلبية العرب[5]، ووصل الأمر إلى حد الاقتتال بينهم، فعسكر قطري خارج جيرفت منتظراً اللقاء بين أحد الخصمين، لكنه كان يدرك خطورة

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص456.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص457.
(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص270.
4) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص279.
(5) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص279.

الموقف فقرر الرحيل وترك المكان إلى طبرستان نتيجة مؤامرة أعدّها المهلب، وذلك بإرسال رجل أقنع قطري أن المكان خطير لأنه يشكّل منتصفاً بين خصمين ونصحه بتركه، فاقتنع بذلك واتجه نحو طبرستان فكان هذا مقدمة نصر أحرزه المهلب[1]، فانفرد المهلب بعبد ربه ولاحت الفرصة التي سعى إليها فاشتد الشقاق والنزاع حتى وصل إلى ما وصل إليه من تقسيم الصف وتقوية الخلاف بينهما.

وفعلاً جاء الوقت الذي انتظره المهلب طويلاً فأحكم الحصار على عبد ربه حتى منع عنه الطعام والشراب، مما زاد في فقد الثقة لدى جيش عبد ربه الذي قرّر إنهاء الموقف والتخلص من هذا المأزق الذي يهدّدهم بالفناء أو الزوال، خرج عبد ربه للحرب وقاتل هو وجيشه بكل شراسة[2]، لكن بطولتهم وتفانيهم وإخلاصهم في القتال لم ينفعهم، بل عجّلت القضاء عليهم، وقدّمت النصر السريع الذي قطفه المهلب وجنده والذي انتظروه زمناً طويلاً، وكان من ثمرة هذا القتال أن قُتل عبد ربه وتفرّق جيشه، وانضم بعضه إلى المهلب بعد أن أعطاهم الأمان[3].

لقد كان المهلب لا يتكل في الحراسة على أحد، بل كان يتولى ذلك بنفسه، ويستعين بولده وبمن يحل محلهم في الثقة عنده، فكان الخوارج – لشدة يقظته وحذره– إذا أرادوا بيات المهلب وجدوا أمره محكماً، فلم يقاتلهم إنسان كان أشد عليهم ولا أغيظ لقلوبهم منه [4].

وأمطرت السماء مطراً شديداً وهم بسابور، وبين المهلب وبين الشراة عقبة (جبل)، فقال المهلب: من يكفينا هذه العقبة الليلة؟ فلم يقم أحد، فلبس المهلب سلاحه وقام إلى العقبة

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص471.
(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص276–277–278.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص469.
(4) ابن نباتة، سرح العيون، ص103.

واتبعه ابنه المغيرة[1]، إنه أخذ بالحزم في القتال وإعمال الرأي[2]، وكان يؤمن بمبدأ الحــرب خدعة، ومبدأ فرّق تسد، لذا عمل على تفريق صفوف أعدائه، وبذل في ذلك جهداً شاقاُ.

ولا بد من الإشارة إلى أن الخوارج لم يكونوا ليّني العريكة، فقد كانت عقيدتهم راســخة وشجاعة فائقة، فقد سُئل المهلب : "ما أعجب ما رأيت من قتال الخوارج؟ فقال: رأيت رجــلاً منهم يطعن الرجل فيمشي في الرمح إلى طاعنه منه وهو يقول: وعجلت إليك ربّ لترضى[3]، وكانت الخوارج تقاتل على السوط يؤخذ منها والعلق[4] النفيس أشد قتالاً، وقد سقط في بعــض أيامهم رمح لرجل من قبيلة مراد من الخوارج، فقاتلوا عليه حتى كثُر القتل والجــراح، وذلــك مع المغرب، والمرادي يرتجز:

اللّيل ليل فيه ويل ويل ... وسال بالقوم الشّراة السّيل [5]

وكان المهلب بعيد النظر، فقد خلف حريث بن قطبة مولى خزاعة، وقال: إذا استوفيت الفدية فرد عليهم الرهن، وكان قد استرهن منهم رهناً من أبنائهم، وسار المهلب فلمــا صــار ببلخ[6] كتب إلى حريث: إني لست آمن إن رددت عليهم الرهن أن يغيروا عليك، فإذا قبضــت الفدية فلا تخلي الرهن حتى تقدم ارض بلخ فقال حريث لملك كــس[7]: إن عجلــت أعطيتــك

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص267.

(2) ابن نباتة، سرح العيون، ص103.

(3) ابن نباتة، سرح العيون، ص107.

(4) العلق هو النفيس من كل شيء. ابن سيده، المخصص، ج3، ص198.

(5) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص186.

(6) بلخ مدينة مشهورة بخراسان من أجلها وأشهرها ذكرا وأكثرها خيراً، وبينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخاً. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص479.

(7) مدينة تقارب سمرقند، وقيل هي الصغد، الحموي، معجم البلدان، ج4، ص460.

الرهن، فعجّل صاحب كس بالفدية وأخذ الرهن، فلما وصل حريث إلى المهلب ضربه ثلاثين سوطاً عقوبة على مخالفته كتابه في الرهن(1).

ومما عرف عن المهلب أنه كان لا يهتم بعدد الجنود بقدر ما كان يهتم بنوعيتهم فكان يفضّل العدد القليل من الشجعان على العدد الكثير ممن لا يتصفون بهذه الصفة، (2) وكان شعاره في الحرب " حم، لا ينصرون، وقال المهلب: وكان شعار رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم(3)، وكانت رُكُب الناس قديماً من الخشب، فكان الرجل يضرب بركابه فينقطع، فإذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معين أو معتمد، فأمر المهلب فضرب الركب من الحديد، فهو أول من اتخذ الركب من الحديد، وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب(4).

المبحث الثالث: ما قيل عن المهلب

توفي المهلب سنة 82ه/702م (5) بقرية يُقال لها زاغول من أعمال مرو الروذ في ولاية ولاية خراسان(6)، ولما مات رثاه الشعراء وأكثروا، وفي ذلك يقول نهار بن توسعة التميمي الشاعر المشهور:

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى .... ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمرو الروذ رهني ضريحه .... وقد غيبا عن كل شرق ومغرب

إذا قيل أي الناس أولى بنعمة .... على الناس قلناه ولم نتهيب

أباح لنا سهل البلاد وحزنها .... بخيل كأرسال القطا المتسرب

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص352. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص498.

(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص221.

(3) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص305.

(4) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص269.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص354. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج1، ص197. وهناك من المؤرخين من ذكر أن توفي سنة 83 هـ /703م مثل ابن خلكان، وفيات الأعيان ج5، ص353. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص304.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص654.

يعرضها للطعن حتى كأنما .... يجللها بالأرجوان المخضب

تطيف به قحطان قد عصبت به .... وأحلافها من حي بكر وتغلب

وحيا معد عوذ بلوائه .... يفدونه بالنفس والام والأب[1]

وكان يُقال : ساد الأحنف بحلمه، ومالك بن مسمع بمحبته لعشيرته، وقتيبة بدهائه، وساد المهلب بجميع هذه الخلال[2].

وكان سيداً جليلاً نبيلاً خطيباً شجاعاً فقيهاً[3]، وكان على جانب عظيم من السخاء والكرم، ولم يكن عنده مال، وكان إذا عُزل استقرض[4]، وهذا يثبت أنه كان كريماً لدرجة أنه لم يكن يخشى الفقر، فقد أقبل يوماً من بعض غزواته فتلقته امرأة فقالت له: " أيها الأمير، إني نذرت إن أقبلت سالماً أن أصوم شهراً وتهب لي جارية، وألف درهم، فحضك المهلب وقال: " قد وفينا نذرك فلا تعودي لمثله، فليس كل أحد يفي لك به"، ووقف له رجل فقال: أريد منك حويجة، فقال المهلب: اطلب لها رجيلاً، يعني أن مثلي لا يُسأل إلا حاجة عظيمة[5]، وكان المهلب حين يأتيه ضيوف يوصي خدمه بالإقلال من الماء والإكثار من الطعام[6]، ولما انتصر انتصر على الأزارقة دخل عليه المغيرة وأنشده قائلاً:

أمسى العباد بشر لا غياث لهم ... إلا المهلب بعد الله والمطر

كلاهما طيب ترجى نوافله ... مبارك سيبه يرجى وينتظر

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص355. عطوان، حسين، الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، ط2، دار الجيل، 1989 ص206.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص227.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج5، ص351.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص320.

(5) ابن نباتة، محمد بن محمد الجذامي الفارقي المصري (ت768 هـ /1366م) سرح العيون(شرح رسالة ابن زيدون) د.ن، د.م ص107.

(6) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب (ت255 هـ /869م) البخلاء، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1999 ص100.

فما أتى على آخرها حتى خلب لبه، فإذا هو يردد: "هذا والله الشعر، لا ما نعلل به". وإذا هو يأمر له بعشرة آلاف درهم، ويزيده في عطائه خمسمائة درهم[1]، ومن كلامه أنــه قــال : عجبت لمن يشتري العبيد بماله ولا يشتري الأحرار بنواله[2]، وتذاكروا عنده الثيــاب فقــال: أحسن ثيابكم ما رأيتموه على غيركم، وكان كثيراً ما يأمر بصلة الرحم[3]، وكان حليمــاً فقــد روي أنه مرّ ذات يوم بالبصرة، فسمع رجلاً يقول: هذا الأعور قد ساد الناس، ولو خرج إلــى السوق لا يساوي أكثر من مائة درهم، فبعث إليه المهلب بمائة درهم، وقال: لو زدتنا في الثمن زدناك في العطية[4]، وكان المهلب فقد إحدى عينيه أثناء محاصرة سمرقند كما مر سابقاً.

وله كلام حسن وحكمة عميقة تدل على مكارمه ورغبته في الثناء الطيب والذكر الجميــل من ذلك قوله : " الحياة خير من الموت، والثناء الحسن خير من الحياة، ولــو أعطيــت مــالم يعطه أحد لأحببت أن تكون لي أذن أسمع بها ما يقال في غداً إذا مت"[5].

وقيل للمهلب يوماً ما خير المجالس؟ فقال: ما بعد فيه مدى الطرف وكثــر فيــه فائــدة الجليس[6]، وقال مرة: العيش كله في الجليس الممتع[7]، وقال أيضاً: أدنى أخــلاق الشــريف كتمان السر، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر إليه[8].

ويذكر الجاحظ في البيان والتبيين أنه قال لبنيه: يا بني تباذلوا تحــابوا، فــإن بنــي الأم يختلفون، فكيف بنو العلّات، إن البر ينسأ في الأجل، ويزيد في العــدد، وإن القطيعــة تــورث

---

(1) الأصبهاني، الأغاني، ج13، ص87.

(2) ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد (ت562ه/1167م) التذكرة الحمدونية، ط1، ج1، دار صــادر، بيروت 1997 ص269.

(3) ابن نباتة، سرح العيون، ص107.

(4) ابن نباتة، سرح العيون، ص107.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج5، ص353.

(6) المرصفي، سيد بن علي الأزهري (ت1349ه/1931م) رغبة الأمل من كتاب الكامل، ج1، مكتبة الأسد، طهران 1970 ص204.

(7) المرصفي، رغبة الأمل من كتاب الكامل، ج3، ص60.

(8) المرصفي، رغبة الأمل من كتاب الكامل، ج6، ص105.

القلة، وتعقب النار بعد الذلة، واتقوا زلّة اللسان، فإن الرجل تزلّ رجله فينتعش، ويزل لسانه فيهلك، وعليكم في الحرب بالمكيدة، فإنها أبلغ من النجدة فإن القتال إذا وقع، وقع القضاء، فإن ظفر فقد سعد، وإن ظفر به لم يقولوا فرّط[1]، وقال لولده يزيد حين استخلفه على خراسان: يا بني، استعقل الحاجب، واستظرف الكاتب، فإن حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه[2].

وحين حضرته الوفاة دعا ابنه حبيباً ومن حضر من ولده ، ودعا بسهام فحزمت، وقال: أترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، فان صله الرحم تنسئ في الأجل، وتثرى المال، وتكثر العدد، وأنهاكم عن القطيعة، فإن القطيعة تعقب النار، وتورث الذلة والقلة، فتحابوا وتواصلوا، وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا، وتباروا تجتمع أموركم، إن بني الأم يختلفون، فكيف ببني العلات! وعليكم بالطاعة والجماعة، وليكن فعالكم أفضل من قولكم، فإني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه، واتقوا الجواب وزلة اللسان، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته، ويزل لسانه فيهلك اعرفوا لمن يغشاكم حقه، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له، وآثروا الجود على البخل، وأحبوا العرب واصطنعوا العرف، فإن الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك، فكيف الصنيعة عنده! عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل: أتى الأمر من وجهه، ثم ظفر فحمد، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل: ما فرط ولا ضيع، ولكن القضاء غالب وعليكم بقراءة القرآن، وتعليم السنن، وأدب الصالحين، وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم[3].

---

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب (ت255 هـ /869م) البيان والتبيين، ج2، دار ومكتبة الهلال، بيروت 2003 ص131.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج5، ص353.

(3) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج2، ص352.

وكان المهلب شاعراً فمن قوله:

لئن ذهبت عيني لقد بقيت نفسي ... وفيها بحمد الله عن تلك ما ينسي

إذا ما جاء أمر الله أعيا خيولنا... ولا بد أن تعمى العيون لدى الرمس[1]

ومن شعره أيضاً:

إنا إذا أنشأت يوماً لنا نعم ... قالت لنا أنفس أزدية عودوا

لا يوجد الجود إلا عند ذي كرم ... والمال عند لئام الناس موجود[2].

إن من يتابع سيرة المهلب يجد أنه كان موضع ثقة لعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنهما- وعبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير والأحنف بن قيس والحجاج بن يوسف الثقفي، فقد عقد له علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- حين انهزمت الأزد يوم الجمل[3]، وتولى قتال الخوارج بعد أن هزموا العساكر وغلبوا على البلاد، ولقد كان شعاره في إدارته وقيادته ينطبق على وصيته لبنيه: " إذا وليتم فلينوا للمحسن واشتدوا على المريب"[4].

وقد كتب عبد الرحمن بن الأشعث الكندي إلى المهلب حين بايعه الناس على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق يدعوه إلى مساعدته، فبعث المهلب بكتاب عبد الرحمن إلى الحجاج[5].

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص353.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (ت711 هـ /1311م) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ط1، ج26، تحقيق روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق 1984 ص46.

(3) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص305.

(4) المرصفي، رغبة الأمل من كتاب الكامل، ج3، ص116.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص482.

وكتب المهلب إلى ابن الأشعث قائلاً: " أما بعد، فإنك وضعت رجلك يا بن محمــد فـــي غرز طويل الغي على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانظر لنفسك لا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها، فإن قلت: أخاف الناس على نفسي فـــالله أحق أن تخافه عليها من الناس، فلا تعرضها لله في سفك دم، ولا استحلال محرم والسلام"[1]، ثم كتب إلى الحجاج : " أما بعد، فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل، ليس يـــردهم شيء حتى ينتهي إلى قراره، وإن لأهل العراق شرة في أول مخرجهم، وصبابة إلـــى أبنـــائهم ونسائهم، فاتركهم حتى يسقطوا إلى أهاليهم ويشموا أولادهم، ثـــم واقعهـــم عنـــدها، فـــإن الله ناصرك عليهم، فلما قرأ كتابه ســـبّه وقـــال: مـــا إلـــي نظـــر، وإنمـــا النظـــر لابـــن عمـــه (يعني عبد الرحمن)[2].

ولكن الحجاج راجع كتاب المهلب بعد مدة من الزمن، وبعد نشوب معارك بـــين جـــيش الحجاج وجيش ابن الأشعث علم صدق مقال المهلب وصدق نصـــيحته، وقـــال: " لله دره أي صاحب حرب هو! [3]أشار علينا بالرأي، ولكنا لم نقبل[4].

كان المهلب رجل دولة بكل ما تحمله الكلمة من معاني، لذلك قال أبو إسحاق السّـــبيعيّ: ما رأيت أميرا خيرا، من المهلب[5]، وروي أنه قدم على عبد الله بـــن الزبيـــر أيـــام خلافتـــه بالحجاز والعراق وتلك النواحي، وهو يومئذ بمكة، فخلا به عبد الله يشاوره، فدخل عليه عبـــد الله بن صفوان بن امية بن خلف بن وهب القرشي الجمحي فقال: من هذا الذي قد شـــغلك يـــا أمير المؤمنين يومك هذا قال: أو ما تعرفه قال: لا، قال: هذا سيد أهل العـــراق، قـــال: فهـــو المهلب بن أبي صفرة[6].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص338.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص490-491.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص490-491.
(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص340.
(5) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص305.
(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص351.

الفصل الرابع

التطورات الاجتماعية في العصر الأموي

إن دراسة التطورات التي طرأت على مجتمع أي عصر من العصور تتطلب كثيراً من الإمعان والتدقيق والخوض في مصادر متنوعة فقهية وتاريخية وأدبية وكتب تراجم وطبقات وغيرها، وإننا هنا سنتطرق لكل فئة من فئات المجتمع على حدة.

المبحث الأول: المسلمون:

أ. **الخلفاء:**

وهم الحكام في البلاد والخليفة هو المدير للدولة من جميع نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومقر الخلفاء في العهد الأموي هو مدينة دمشق، ولم تكن حياة الخليفة فقط للعمل، بل تمتّع بقسط وافر من اللهو فشهدت مجالس الخلفاء الأدب والغناء والشراب، وكان لبعض الخلفاء ندماء يقومون على مسامرتهم ومنادمتهم، حتى أن بعض الندماء كان يتجاوز حده، مما جعل الجاحظ يعيب على الخلفاء ويستنكر تسامحهم في هذه الأمور فيذكر في كتابه التاج في أخلاق الملوك عن يزيد بن عبد الملك: " فسوى بين الطبقة العليا والسفلى، وأفسد أقسام المراتب، وغلب عليه اللهو، واستخف بآيين المملكة، وأذن للندماء في الكلام والضحك والهزل في مجلسه والرد عليه. وهو أول من شتم في وجهه من الخلفاء، على جهة الهزل والسخف"[(1)]، وهذا عبد الملك بن مروان كان إذا لبس الخف الأصفر، لم يلبس أحد من الخلق خفاً أصفر حتى ينزعه[(2)].

---

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255 هـ /869م) التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا ط1، المطبعة الأميرية، القاهرة 1914 ص28.

(2) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص45.

وفي هذا العصر تطورت معيشتهم واستعملوا شتى الطرق في طــبخ اللحــوم والألبــان والتوابل، فمعاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنه- كان يأكل أربع مرات، يقول المســعودي: "يؤتى بالغداء الأصغر، وهو فضلة عشائه من جدي بارد أو فرخ أو ما يشــبهه، ثــم يــؤتى بالغداء، ثم يليه طعام العصر فيجتمع الخاصة، فإن كان الوقت وقت شتاء أتاهم بــزاد. الحــاج من الأخبصة اليابسة والخشكنانج والأقراص المعجونه باللبن والسكر ودقيق الســميذ والكعــك المسمن والفواكه اليابسة والذانجوج وإن كان وقت صيف أتاهم بالفواكه الرطبــة، ثــم يــؤتى بالعشاء، ثم إذا مضى ثلث الليل تأتيه الطرف الغريبة، من عند نسائه من الحلوى وغيرها مــن المآكل اللطيفة"(1).

وذكر الجاحظ أنه كان لمعاوية في كل يوم أربعون مائدة يتقاسمها القادة والوجوه من جند الشام(2)، وكان الوليد إذا حج أطعم الناس بعرفة ثم نصب الموائد، وهو أول من أجرى عــادة إطعام الناس في شهر رمضان في المساجد(3).

وروي عن سليمان بن عبد الملك أنه كان نهماً قليل الشبع فقد ضاف ذات مــرة علــى شمردل وكيل عمرو بن العاص في الطائف، فقدّم له جدياً ودجاجة هندية وحريرة فأكــل ثــم نادى برئيس طعامه فقال: أفرغت من غذائي؟ قال: نعم، قال: وما هو؟ قال: ثمــانون قــدراً، قال: ائتني بها قدراً قدراً، قال: فأكثر ما أكل من كل قدر ثلاث لقم، وأقل مــا أكــل لقمــة(4)، وروى المسعودي عنه قوله: " وكان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار، وكان شبعه فــي كل يوم من الطعام مائة رطل بالعراقي، وكان ربما أتاه الطباخون بالسفافيد التي فيها الــدجاج

---

(1) المسعودي، علي بن الحسين (ت346هـ/957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1988 ص361.

(2) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص13.

(3) اليعقوبي، أحمد بن اسحق (ت292هـ/905م) تاريخ اليعقــوبي، ج1، دار صــادر، بيــروت 1970 ص227.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص178-179.

المشوية وعليه جبه الوشي المثقلة فلنهمه وحرصه على الأكل يدخل يده في كمه حتى يقــبض على الدجاجة وهي حارة فيفصلها"[1]، ولعلنا نلحظ هنا بعض المبالغة في هذه الروايات ولكنها ولا شك تدل في جانب من جوانبها على قدر من البذخ الذي كان يتمتع به الخلفاء.

ب. الخاصة:

أما هذه الطبقة فهي تتألف من الأمراء والقادة والولاة وغيرهم من الطبقة المترفــة، ولا شك أن هؤلاء كانوا على جانب من الغنى والرفاهية، فالحجاج بن يوسف الثقفي ذُكر أن مهــر زوجته ابنة عبد الله بن جعفر وصلت تسعين ألف دينار[2]، أما أمية بن عبد الله بن خالد والــي خراسان فقد بلغ به البذخ أن أرسل إلى عبد الملك بن مروان يقول له :" إن خراج خراسان لا يفي بمطبخي" [3]، ومصعب بن الزبير وزوجتيه سكينة وعائشة اللتين بلغ مهــر كــل منهمــا الملايين من الدنانير، وروى الجاحظ في كتابه عن سعيد بن العاص أنه كان إذا اعتم بمكة، لــم يعتم أحد بعمةٍ ما دامت على رأسه، وهذا الحجاج بن يوسف؛ كــان إذا وضــع علــى رأســه طويلة، لم يجترئ أحد من خلق الله أن يدخل، وعلى رأسه مثلها[4].

وكان الحجاج يقيم الولائم في رمضان فيضع في كل يوم من أيام رمضان ألف خــوان على كل خوان عشرة أنفس وعشرة ألوان وسمكة مشوية طرية وأوزة بالسكر، وكان يدور هو بنفسه على الموائد يتفقدها، وكان يصنع في غير رمضان خمسمائة خوان، وكان يوســف بــن عمرو والي العراق في عهد هشام بن عبد الملك يضع خمسمائة خوان أيضاً[5].

---

(1) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص424.
(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج7، ص132.
(3) الأصبهاني، الأغاني، ج14، ص272.
(4) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص45.
(5) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص276.

ولدينا نص في كتاب البيان والتبيين يدل على مبلــغ الجهـد الــذي كــان يُبــذل فــي زخرفة الموائد وتزيينها بأشهى الأطعمة " وقال بعض الأمــراء- وأظنــه بــلال بــن أبــي بردة لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة: ماذا تصنعون عنــد عبــد الأعلــى إذا كنــتم عنــده؟ قال: يشاهدنا بأحسن استماع، وأطيب حديث، ثم يأتي الطبــاخ فيمثــل بــين يديــه فيقــول: ما عندك؟

فيقول: عندي لون كذا وكذا وجدي كذا، ودجاجة كــذا، ومــن الحلــواء كــذا، قــال: ولم يسأل عن ذلك؟ قال: ليقصر كل رجل عما لا يشــتهي، حتــى يأتيــه مــا يشــتهي، ثــم يأتون بالخوان فيتضايق وتتســع، ويقصّــر ونجتهــد"[1]، وروى الأصــبهاني أن زيــد بــن عمرو بن عثمان بن عفان كان أبخل قرشــي فخــرج حاجــاً، وخرجــت زوجتــه ســكينة معه فلم تدع إوزة ولا دجاجة ولا خبيصاً ولا فاكهة إلا حملها معه[2].

ولدينا أمثلة كثيرة في أشخاص كثر في هــذه الفتــرة أمثــال الحــارث بــن خالــد المخزومي، وابن أبي عتيق، وعبــد الله بــن محمــد بــن عبــد الــرحمن بــن أبــي بكــر الصديق.

---

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255 هـ /869م) البيان والتبيين، ج1، دار ومكتبة الهلال، بيروت 2003 ص278.

(2) الأصبهاني، الأغاني، ج16، ص166-167.

ج. الفقهاء

في العهد الأموي نجد الكثير من الفقهاء والصالحين، أمثال الشعبي[1] وسعيد بن المسيّب[2]، وعبيد الله بن عتبة[3]، وعبد الرحمن بن أبي عمّار الملقب بالقس[4]، وشهد هذا العصر كذلك قوماً من الزهّاد والورعين، مثل النعمان بن بشير الذي قال عنه الطبري: " كان حليماً ناسكاً يحب العافية"[5]، وعبد الله بن الزبير حمامة الكعبة الذي قال عنه السيوطي: " كان صواماً قواماً، طويل الصلاة، وصولاً للرحم، عظيم الشجاعة، قسم الدهر ثلاث ليال: ليلة يصلي قائماً حتى الصباح، وليلة راكعاً، وليلة ساجداً حتى الصباح"[6]، وقد رويت عن عبد الله بن عمر أخبار كثيرة عن زده وورعه ذكرها ابن سعد في طبقاته:" وبلغ من زهده أن أهله وسئموه" [7].

---

(1) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي، راوية من التابعين يضرب المثل بحفظه، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم، وكان ضئيلاً نحيفاً، وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته، وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز وكان فقيهاً (ت103 هـ /721م). ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت571 هـ /1176م) تاريخ دمشق، ج25، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت 1995 ص335-429.

(2) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءاً. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر ابن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر، توفي بالمدينة (ت94 هـ /713م). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص163.

(3) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود العذلي، مفتي المدينة، وأحد الفقهاء السبعة فيها، من أعلام التابعين، له شعر جيد أورد أبو تمام قطعة منه في " الحماسة " وأبو الفرج كثيراً منه في " الأغاني " وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز، وقد ذهب بصره ومات بالمدينة (ت98ه/716م). الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748 هـ /1347م) تذكرة الحفاظ، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت 1998 ص62.

(4) عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية كان فقيهاً عابداً من عباد مكة فسمي القس لعبادته وكان يشبه بعطاء بن أبي رباح. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج18، ص97.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص356.

(6) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911 هـ /1505م) تاريخ الخلفاء، ط1، تحقيق حمدي الدمرداش،

مكتبة نزار مصطفى الباز، 2004 ص160.

(7) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج4، ص115.

الموالي:

وهذه التسمية أطلقت على كل من أسلم من غير العرب سواء أكان رقيقاً أم حراً[1]، ومع أن الإسلام دعا إلى المساواة بين المسلمين إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم: " المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده "[2]، وقوله عليه السلام في حجة الوداع : " يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى أبلغت......... [3]"، إلا أن الأمويين تعصبوا للعرب واحتقروا من سواهم وخاصة الموالي، إذ كانوا يعاملونهم معاملة العبيد ويعتبرون أنفسهم أعلى مقاماً وأرفع منزلةً منهم، فيُقال: أن العربي كان إذا مرّت به جنازة قال: من هذا؟ فإذا قالوا قرشي؛ قال: واقوماه! وإذا قالوا: عربي؛ قال: وابلدتاه! وإذا قالوا: مولى؛ قال: هو مال الله، يأخذ ما شاء ويدع ما شاء، وكانوا يقولون لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة: حمار، أو كلب أو مولى[4]، ويُذكر أن الحجاج لما قبض على الموالي الذين أيدوا ابن الأشعث في ثورته أراد أن يفرقهم حتى لا يجتمعون، ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجّهه إليها؛ وكان الذي تولى ذلك منهم رجل من بني سعد بن عجل ابن لجيم، يقال له خراش بن جابر؛ وقال شاعرهم:

---

(1) أمين، أحمد، فجر الإسلام، بيروت 1969 ص88.

(2) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت241 هـ /855م) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط1، ج2، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الرياض 2001 ص268.

(3) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج38، ص474.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص360-361.

وأنت من نقش العجليّ راحته ... وفرّ شيخك حتى عاذ بالحكم[1].

وعبّر أحد الشعراء عن كثرة الموالي فقال:

إن أولاد السّراري ... كثروا يا ربّ فينا

ربّ أدخلني بلادا ... لا أرى فيها هجينا[2]

يقول عمر فروخ في كتابه تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية : " إن سياسة بني أمية كانت مبنية على العصبية العربية، وكان الموالي من الترك والفرس يلقون من تلك السياسة عنتاً كبيراً، وكان استبدادهم شديداً وحكمهم قاسياً، فلم يستطع أولئك الموالي تحركاً قبل مجيء عمر بن عبد العزيز الذي كان متساهلاً معهم جداً وعادلاً، الشيء الذي لم يرض عنه بنو أمية"[3].

ولما شعر الموالي بهذا الازدراء والاحتقار حاولوا رفع منزلتهم عن طريق العلم، فأكبّوا عليه يشربون من مناهله حتى برع منهم عدد وافر في علوم شتّى فكان منهم المحدّثون والفقهاء والشعراء والمغنّون، ويرد نص عند الحموي في معجم البلدان يظهر تفوّق الموالي بالفقه والحديث (لما مات العبادلة: عبد الله بن عباس وعبد الله ابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي، فصار فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح وفقيه أهل اليمن طاووس وفقيه أهل اليمامة يحيى بن أبي كثير وفقيه أهل البصرة الحسن البصري وفقيه أهل الكوفة النخعي وفقيه أهل الشام مكحول وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني إلا المدينة فإن الله تعالى خصها بقرشي، فكان فقيه أهل المدينة غير مدافع سعيد بن

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص364.

(2) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت538 هـ /1143م) ط1، ج3، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1992 ص361.

(3) فروخ، عمر، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت 1970 ص152.

المسيب) [1]، وقريب من هذا نص شبيه ورد في العقد الفريد (قال ابن أبي ليلى: قال لي عيسى بن موسى وكان جائراً شديد العصبية: من كان فقيه البصرة؟ قلت: الحسن بن أبـــي الحســـن. قال: ثم من؟ قلت: محمد بن سيرين. قال: فما هما؟ قلت: موليان، قال: فمن كان فقيـــه مكـــة؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، ومجاهد بن جبر، وسعيد ابن جبير، وسليمان بن يسار. قـــال: فمـــا هؤلاء؟ قلت موالي، فتغير لونه، ثم قال: فمن أفقه أهل قباء؟ قلت ربيعة الـــرأي، وابـــن أبـــي الزناد، قال: فما كانا؟ قلت من الموالي، فاربدّ وجهه، ثم قال: فمن كان فقيـــه الـــيمن؟ قلـــت: طاوس، وابنه وهمام بن منبه، قال: فما هؤلاء؟ قلت: من الموالي، فانتفخت أوداجه فانتصـــب قاعداً، ثم قال: فمن كان فقيه خراسان؟ قلت: عطاء بن عبد الله الخراساني، قـــال: فمـــا كـــان عطاء هذا؟ قلت: مولى، فازداد وجهه تربّدا واسودّ اسوداداً حتى خفته، ثم قال: فمن كان فقيـــه الشام؟ قلت: مكحول، قال: فما كان مكحول هذا؟ قلت: مولى، فازداد تغيّظاً وحنقاً؛ ثـــم قـــال: فمن كان فقيه الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، قال: فما كان؟ قلت: مـــولى، قـــال: فتـــنفس الصعداء، ثم قال: فمن كان فقيه الكوفة؟ قلت: فو الله لولا خوفه لقلت: الحكم بن عيينة، وعمار بن أبي سليمان، ولكن رأيت فيه الشر، فقلت: إبراهيم، والشعبي، قال: فما كانا؟ قلت: عربيان. قال: الله أكبر! وسكن جأشه[2].

ثم بعد ذلك ازداد اقبال الناس على الزواج من بنات الموالي غير العربيات ورغبوا فيهن أكثر من ذي قبل، وجاء في العقد الفريد أن أهل المدينة كانوا يكرهون اتخاذ الزوجـــات مـــن أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين، والقاسم بن محمد(بن أبي بكر)، وسالم بن عبـــد الله (بن عمر) " وهؤلاء جميعاً بني خالات وأمهاتهم بنات يزدجرد" ففاقوا أهل المدينـــة فقهـــاً

(1) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص354.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص363-364.

وورعاً ورغب الناس في السراري[1]، فكان أن امتزجت الدماء العربية بالدماء الأعجمية، فنشأ جيل جديد من التابعين وخليط من العرب والموالي.

ونبغ من الموالي شعراء كثر منهم اسماعيل بن يسار، وكان أخـواه محمـد وابـراهيم شاعرين، وهو من سبي فارس، وكان على ما يبدو شديد التعصب للعجم، فقد قيل إن هشام بن عبد الملك طلب منه أن ينشد شعراً فأنشد قصيدته التي يفاخر بها بالعجم:

يا ربع رامة بالعلياء من ريم ... هل ترجعن إذا حييت تسليمي

ما بال حي غدت بزل المطي بهم ... تخدي لغربتهم سيرا بتقحيم

كأنني يوم ساروا شارب سلبت ... فؤاده قهوة من خمر داروم

فغضب هشام وقال له: أعلي تفخر وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعـلاج قومـك غطّوه في الماء فغطّوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج ثم أمر بإخراجه ونفـاه مـن وقتـه فأخرج عن الرصافة منفياً إلى الحجاز[2].

أما أكثر من برز من الموالي فهم المغنّون، وكان أكثرهم من الفرس، فمعبد مغنّي المدينة المشهور كان مولى لمعاوية بن أبي سفيان[3]، وكذلك ابن سريج مولى بنـي نوفـل ومغنّـي الخلفاء ونديمهم[4]، وحكم الوادي مولى الوليد بن عبد الملـك وغيـرهم الكثيـر[5]، وكـذلك

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج7، ص140.

(2) الأصبهاني، الأغاني، ج4، ص414-415.

(3) معبد بن وهب نابغة الغناء العربي في العصر الأموي، نشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه، وربما اشـتغل فـي التجارة، ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة، ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها وارتفع شأنه، وكان أديباً فصيحاً، وعاش طويلا إلى أن انقطع صوته، ومات في عسكر الوليد ابن يزيد (ت126 هـ /734م). الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص269.

(4) عبيد الله بن سريج، من أشهر المغنين وأصحاب هذه الصناعة في صدر الإسلام، كان يغني مرتجلا فيأتي باللحن المبتكر، وهو من أهل مكة، وأول من ضرب بها على العود بالعناء العربي. قال إبراهيم الموصلي: ما كان ابـن سريج إلا كأنه خلق من كل قلب فهو يغني له ما يشتهي (ت98 هـ /716م). الأصبهاني، الأغاني، ج2، ص243.

(5) حكم بن ميمون، مغن من الطبقة الأولى في عصره. أصله من الموالي، أعتق الوليد ابن عبد الملك أباه، ونشأ حكم ينقل الزيت على الجمال بالأجرة من الشام إلى المدينة، وأولع بصناعة الغناء فكان ينقر بالدف ويغنـي مـرتجلاً، فاتصل ببني العباس في خلافة المنصور وانقطع إليهم، فاشتهر، وأصاب مالاً وافراً وحظوة. وطالت مدة حياتـه، أدرك الوليد بن عبد الملك، وغناه، وأدرك هارون الرشيد وغناه (ت180 هـ /796م). الأصبهاني، الأغاني، ج6، ص294.

المغنّيات فجميلة المغنّية المشهورة كانت مولاةً لبني سليم[1]، وعـزة المـيلاء كانـت مـولاةً للأنصار[2].

د. العبيد:

لما جاء الإسلام وأقبلت الفتوحات كثر الاسترقاق في الأمم المغلوبة، وتدفّق سيل مـن الأرقّاء والإماء على العرب الفاتحين، فمما يروى عن الزبير بن العوّام أنه كان يملـك ألـف عبد وألف أمة[3]، وأوجب الإسلام حسن معاملة الرقيق وحبّب إلى المالك العتق وجعله كفّـارة عن كثير من الآثام والجرائم، قال تعالى: " لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ" [4]، وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بحسن معاملة الرقيق فقال: " من لطم مملوكه أو ضربه حدا لم يأته، فكفارته أن يعتقه" [5].

---

(1) جميلة السلمية موسيقية ملحنة، كانت أعلم المغنين والمغنيات في العرب بصناعة الغناء، وكان معبد يقول: أصل الغناء جميلة، ونحن فروعه، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين، تزوجت بمولى لبني الحـارث بـن الخزرج (من الأنصار) وكانت تنزل بالسنح (في عوالي المدينة) ووضعت ألحاناً تهافت النـاس علـى سماعها، وأحسنت الضرب على العود أيضا أيما إحسان، فكانت نابغة الغناء والتلحين والموسيقى فـي عصرها (ت125 هـ /743م). النويري، شهاب الدين أحمد (ت 733 هـ /1232م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، ج5، تحقيق مفيد قمحية وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت 2004 ص41.

(2) عزة الميلاء أقدم من غنى في الحجاز، إقامتها بالمدينة، وهي مولاة للأنصار، وكانت وافـرة السـمن، جميلة الوجه، لقتب بالميلاء لتمايلها في مشيتها، سمعها معبد المغني وحسان بن ثابت الشاعر، وزارهـا النعمان بن بشير الأنصاري في بيتها، وسُمع غناءها فـي أيـام يزيـد بـن معاويـة وابـن الزبيـر (ت115 هـ /733م). الأصبهاني، الأغاني، ج17، ص164.

(3) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص305.

(4) القرآن الكريم، المائدة، آية 89.

(5) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت485 هـ /1066م) السنن الكبرى، ط3، ج8،تحقيق محمد عبـد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 2003 ص18.

وتعددت مصادر الرقيق فمنهم الصقالبة ويذكر البلاذري " أن عدداً من الصـــقالبة قــد أخلصوا في خدمة الدولة الأموية فنالوا مناصب رفيعة"[1]، ومنهم الخزر والأتراك مـــن باديـــة تركستان وهم يتميزون بالبشرة البيضاء على العموم، ومنهم السود وكان يُؤتى به مـــن بـــلاد افريقيا وجنوب بلاد العرب[2].

وفي العصر الأموي ارتفع عدد الأرقاء وقيل أن موسى بن نصير جاء من افريقيا بمـــا يزيد عن 300.000 من أسير أهدى خمسهم إلى الوليد بن عبد الملك[3]، كذلك أحصـــي عـــدد السبايا من بنات الأشراف اللاتي جاء بهن قتيبة بن مسلم من الصغد فبلغ مائة ألـــف[4]، وبلـــغ الذين أعتقهم سليمان بن عبد الملك سبعين ألفاً بين مملوك ومملوكه[5].

وكان هؤلاء العبيد وتحديداً السود منهم يُستخدمون في قضاء مختلـــف الأعمـــال فـــي المنازل، ويُستخدمون في الزراعة والفلاحة وبناء الدور واستصلاح الأراضي فـــي المـــزارع التي كان يملكها أسيادهم، فهذا معاوية بن أبي سفيان استخدم أربعة آلاف من الرقيق وأســـرهم في بلدة الخضارم في إقليم اليمامة بنجد لاستصلاحها واستثمارها[6]، وكان معبد المغني الـــذي مرّ ذكره يرعى إبل بني مخزوم بظهر الحرة في المدينة، وكان الشاعر نصيب عبـــداً حبشـــياً يرعى إبل مواليه في مستهل حياته[7]، وعلى ما يبدو أن قيمة العبد كانـــت تختلـــف بـــاختلاف صناعته فثمن العبد الذي يجهل الصناعة مائة دينار، وإذا كان راعياً للإبل يستطيع القيام بهـــا

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص.
(2) جورجي، زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج5، مطبعة الهلال، القاهرة 1919 ص25.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص39.
(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص14.
(5) كرد علي، خطط الشام، ج1، دمشق 1925 ص154.
(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص352.
(7) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص269.

أحسن قيام قدّرت قيمته بمائتي دينار، وإذا كان عارفاً بصناعة النبـال وغيرهـا مـن أدوات الحروب بلغت قيمته أربعمائة دينار، وإن كان مجيداً للشعر ارتفعت قيمته لسـتمائة دينـار[1]، ولا يغيب عن البال صناعة السفن فللموالي دور مميّز في العمل في الأسـاطيل التـي تتّخـذ قواعدها في الشام[2].

ه. القبائل:

سكنت القبائل العربية وخاصة القحطانية في بلاد الشام منذ ما قبل البعثة النبوية، وأقامت هذه القبائل عدداً من الإمارات في بلاد الشام كإمارة الأنباط والتدمريين والغساسنة، وقـد زاد الاستقرار بعد الفتوحات، فزادت القبائل العربية علاوةً على استقرار الكثير مـن جنـد الفـتح الإسلامي فيها، وشكّلت هذه القبائل جزءاً فعالاً في المجتمع، وبالتحديد في منطقة بلاد الشام.

ويمكن تقسيم القبائل إلى ما يلي:

---

(1) الأصبهاني، الأغاني، ج1، ص320.

(2) الحوراني، جورج فضلو، العرب والملاحـة فـي المحـيط الهنـدي، دار الكتـاب، القـاهرة 1949 ص181-814.

1- **القبائل المضرية:** وقد كان منهم قادة الجيوش الإسلامية الفاتحة، وزاد استيطانهم في بلاد الشام بعد طردهم من الحجاز على يد عبد الله بن الزبير[1]، فاستوطنوا دمشق والغوطة وفلسطين والرصافة والناعورة، ومن القبائل المضرية هناك بنو ربيعة بن عبد شمس[2]، وبنو عبد أمية، وبنو نوفل[3]، وبنو عدي[4] وبنو حرب[5] وبنو فهر[6] وبنو كنانة[7].

أما القيسية فقد شكلوا النسبة الكبرى من القبائل المضرية، وكان تركّزهم في قنسرين حيث طبعوا هذا الجند بطابعها وشكّلت أغلبية سكانه، ولعبت هذه القبائل دوراً كبيراً في أحداث بلاد الشام في العصر الأموي[8].

2- **القبائل الربعية:** وهذه القبائل استوطنت بشكل كبير في العراق وخراسان ولم تستوطن بلاد الشام، ومن فروع ربيعة التي سكنت بلاد الشام كانت تغلب التي استوطنت جند قنسرين[9]، وحاربت القبائل القيسية فيها[10]، واستقر بنو حنيفة في طرابلس وعرقة[11].

---

(1) الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت (ت236 هـ /851م) نسب قريش، ط3، دار المعارف، القاهرة (د.ت) ص125.

(2) ابن الكلبي، محمد بن السائب (ت146 هـ /763م) جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسين، عالم الكتب، بيروت 1986 ص56.

(3) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (456ه/1063م) جمهرة أنساب العرب، ط1، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت 1983 ص76.

(4) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص150.

(5) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص175.

(6) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص175.

(7) ابن الخياط، أبو عمر خليفة (ت240 هـ /852م) طبقات خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق 1993 ص52-66-75-136-227-298-327-521-576.

(8) ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت660 هـ /1262م) بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق 2000 ص544-548-549.

(9) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص248.

(10) اليعقوبي، البلدان، ص88.

(11) اليعقوبي، البلدان، ص88.

3- **القبائل القحطانية:** وهذه القبائل لعبت دوراً رئيساً في الأحداث التي جــرت فـــي العهــد الأموي، واستوطنت في أغلبية أجناد بلاد الشام، ومن القبائل القحطانية نذكر بنو غسان[1]، غسان[1]، وجذام[2]، ولخم[3] وكندة[4].

ومن الجدير بالذكر أن القبائل العربية لعبت دوراً في توطيد سلطان بني أميــة وتقويتــه وترسيخه وتثبيته، وكان لهذه القبائل نفوذ كبير، وكان بنو أمية يحسبون لها حساباً كبيراً، فقــد قال الضحاك بن المنذر بن سلامة بن ذي قابس الحميري لمعاويــة بعــد صــفين: " ونحــن نصرناك ومنعناك يوم صفين ونصرناك على الأنصار والمهاجرين وآثرناك على الإمام التقي الرقي الرضي الوفي ابن عم النبي (صلى الله عليه وسلم) فبنا علوت المنابر ولولا نحــن لــم تعلها وبنا دانت لك المعاشر ولولا نحن لم تدن لك فأنكرت منا ما عرفت وجهلت منا ما علمت فلولا أنا كما وصفت وأحلامنا كما ذكرت لمنعناك العهد ولشددنا لغيرك العقد ولفرغت فرغــا تتطأطأ منه وتتقبض"[5].

وقال حيوة بن شريح الكلاعي لمعاوية: " أنصفنا من أنفسك وآس بيننا وبين قومك وإلا تغلغلت بناديهم الصفاح أو لننطحنهم بها أشد النطاح ولنوردنهم بهــا حــوض المنيــة المتــاح فقابضنا بفعلنا حذو النعل بالنعل وإلا والله أقمنا درأك بعد لنا ولقينا صغوك بعزمنا حتى ندعك أصوع من الرداء وأذل من الحذاء[6]، وقال الجواس الكلبي لعبد الملك بن مروان لما قتل ابــن

---

(1) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص617.

(2) ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو (ت245 هـ /860م) المحبر، مطبعة دائرة المعــارف العثمانية، حيدر أباد، 1942 ص172.

(3) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف (ت334 هـ /945م) صفة جزيرة العرب، مطبعــة بريل، ليدن، 1884 ص129.

(4) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص431.

(5) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج24، ص371.

(6) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج24، ص372.

الزبير وسكنت الحرب وصفا له الأمر، وأصبح يتألف قيساً وهم أعداؤه ويحسن لبني كلب وهم أنصاره حتى انتهى به الحال أن عزل كثيراً مما استعملهم من العمال وأبدلهم من قـيس فقـال له:

أعبد المليك ما شكرت بلاءنا ... فكل في رضاء العيش ما أنت آكل

بجابية الجولان لولا ابن بحدل ... لكنت وما يسمع لقيلك قائل[1].

وعلى العموم فقد تولى بعض رجالات تلك القبائل وظائف هامة في الدولة الأموية، وكان منهم الأمراء فقد كان حسان بن النعمان الغساني والياً على افريقيا حتى وفاة معاوية[2]، وولي البصرة للحجاج أيام الوليد بن عبد الملك محمد بن سعيد العوذي[3]، وولّى يزيد بن عبد الملـك مسلم بن سعيد بن أسلم الكلابي خراسان[4]، وكان المغيرة بن عبد الله الغزاوي أميـر مصـر لمروان بن محمد[5].

وتولى عدد منهم وظيفة صاحب الشرطة، فقد كان الضحاك بـن قـيس علـى شـرطة معاوية، وحميد بن ثور بن بحدل الكلبي على شرطة يزيد بن معاوية[6]، وتـولى عـدد مـنهم مناصب قادة الجيش ففي معركة مرج راهط كان على ميمنة مروان بن الحكم الحصـين بـن نمير السكوني، وعلى ميسرته عبد الرحمن بن أم الحكم، وعلى الخيل غسان بـن مالـك بـن بحدل، ومالك بن هبيرة السكوني، وعلى الرجّالة عبيد الله بن زياد[7]، وعندما انتهـى الأمـر

---

(1) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج7، ص3226.

(2) ابن الخياط، أبو عمر خليفة (ت240 هـ /852م) تاريخ خليفة بن خياط، ط3، تحقيق أكـرم ضـياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت 1977 ص224.

(3) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج53، ص98.

(4) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص322.

(5) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص257.

(6) الدينوري، الأخبار الطوال، ص326.

(7) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص138.

ليزيد بن معاوية وبايع أهل تهامة والحجاز لعبد الله بن الزبير، وجّه له الحصـين بـن نميـر السكوني، وحبيش بن دلجة القيني، وروح بن زنباع الجذامي، وضم لكل واحد مـنهم جيشـاً، واستعمل عليهم جميعاً مسلم بن عقبة المزني[1].

وبرز عدد من رجال القبائل في المناصب الإدارية مثل كتابة الرسائل فقد كتب عبيـد الله بن أوس الغساني لمعاوية بن أبي سفيان، وكتب سليمان بن سعيد الخشـني لعمـر بـن عبـد العزيز، وكذلك صالح بن جبير الغساني[2]، ولعل هذا يؤكد لنا مقـدار الثقـة التـي أولاهـا الأمويون لأبناء القبائل العربية.

و. الأعراب:

والأعراب هم خلافاً عن مسلمي الحضر الذين سكنوا المدن، فهؤلاء الأعراب عاشـوا في البادية وكانوا بعيدين نوعاً ما عن الإسلام وجوهره، فأكثرهم جهلة لهم نوادر كثيرة مبعثرة في كتب الأدب والتاريخ والتراجم والطبقات، ويجب أن نشير إلى أنه اشـتهر مـنهم جماعـة عُرفوا برجاحة العقل وفصاحة في القول وسداد في الرأي.

وروى المسعودي حكايةً عن أحد هؤلاء الأعراب وهو ابن عم للحجـاج بـن يوسـف الثقفي فقال: " قدم على الحجاج ابن عم له أعرابي من البادية فنظر إليه يُولِّي الناس، فقال لـه: أيها الأمير، لم لا تولّيني بعض هذا الحضر، فقال الحجاج: هؤلاء يكتبون ويحسبون وأنـت لا تحسب ولا تكتب، فغضب الأعرابي وقال: بلى إني واللّه لأحْسَبُ منهم حسباً، وأكتب منهم يداً، فقال له الحجاج: فإن كان تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس، فمـا زال يقـول: ثلاثـة دراهم بين أربعة، ثلاثة بين أربعة، لكل واحد منهم درهم يبقى الرابع بلا شيء، كم هـم أيهـا

(1) الدينوري، الأخبار الطوال، ص264.

(2) الجهشياري، محمد بن عبدوس بن عبد الله (ت331 هـ /943م) الوزراء والكتاب، تحقيق مصـطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1938 ص21.

الأمير، قال: هم أربعة، قال: نعم أيها الأمير، قد وقفت على الحساب، لكل واحد منهم درهـم، وأنا أعطي الرابع منهم درهماً من عندي وضرب بيده إلى تكته فاستخرج منها درهماً، وقـال: أيكم الرابع فلاها اللّه ما رأيت كاليوم زوراً مثل حساب هؤلاء الحضريين، فضحك الحجـاج ومَنْ معه....." [1].

المبحث الثاني: غير المسلمين

أ. أهل الذمة:

وهم أولئك الذين لم يعتنقوا الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وظلوا على ديـانتهم القديمة، وكانت تعاليم الإسلام تقضي بأنه إذا أراد المسلمون غزو بلد وجب عليهم دعوة أهلـه إلى اعتناق الإسلام، فإن أسلموا كانوا هم وسائر المسلمين سواء، وقد فرضت الجزية [2] حينما نزلت الآية التي تحرّض على قتال أهل الكتاب (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْـآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّـى يُعْطُـوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [3].

والغاية من الجزية تكمن في أمرين: الأول: فهي عقوبة وعوضاً عن حقن الدم وأجـرةً على سكنى الدار [4]، والثاني: ما يظهره النص القرآني (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَـةَ عَـنْ يَـدٍ وَهُـمْ صَاغِرُونَ) من التعبير عن ذلهم في عملية الأداء، حتى تبقى القوة والسيطرة للسلطة المسـلمة لا لأهل الذمة، وحتى يشعرون بتلك السيطرة في الجوانب الأخرى من حيـاتهم، ذلـك لأنهـم

(1) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص423.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص29.
(3) سورة التوبة، آية 29.
(4) البعلي، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي، كتاب الفتاوى، راجعه وحقق نصوصه عبد المجيد سليم، ط1، دار الجيل، بيروت 1949 ص556.

أصروا على بقائهم على ما هم عليه من الدين[1]، فكانت الجزية تنبيه لهم لأية محاولة تصـــدر منهم في عدوان أو شغب، وهذا ما أدركه المسلمون، فهذا معقل بن قيس يكتب إلى علـــي بـــن أبي طالب- رضي الله عنه- قائلاً: (وأما النصارى فإنا سبيناهم وقد أقبلنا بهم ليكونوا نكـــالاً لمن بعدهم من أهل الذمة، لكي لا يمنعوا الجزية، ولكي لا يجترئوا على قتال أهل القبلة وهـــم أهل الصغار والذل) [2] ومقابل دفعهم للجزية كانوا يُمنحون حقوقاً تتمثل فـــي حمايـــة أنفســـهم وأموالهم وأعراضهم من قبل المسلمين، ولهم ما شرطوه لأنفسهم في عقد الذمة، ولهـــم الحـــق بالمحافظة على عقائدهم الدينية، ولهم الحق بممارسة عاداتهم التـــي لا تتعـــارض مـــع آداب الإسلام[3].

وقد ظلّت بعض القبائل العربية في العهد الأموي محافظةً على دينها في العصر الأمـــوي كقبيلتي تغلب وكلب، وكان الأمويون في بداية أمرهم يتساهلون مع النصارى حتى أن معاويـــة بن أبي سفيان تزوج من ميسون بنت بحدل الكلبية[4]، وقد كانوا جزءاً حيويـــاً مـــن المجتمـــع وأدوا دوراً فاعلاً في إدارة شؤون الدولة ومؤسساتها، فمعاوية بن أبي سفيان كان قد اســـتعمل أسرة سرجون وهي أسرة مسيحية، استعملها في إدارة الشؤون المالية، وظلّ أفرادها يشـــغلون هذه المناصب ويتوارثونها لسنوات طويلة[5]، واستبقى على الكتّاب النصارى في دواوين بـــلاد الشام الذين يكتبون باليونانية[6]، وعيّن لولده يزيد مربّياً مسيحياً، واستعان فـــي إنشـــاء نظـــام

---

(1) البعلي، كتاب الفتاوى، ص557.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص128.

(3) القرضاوي، يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط1، مكتبة وهبه، القاهرة 1977 ص9-25.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص155.

(5) المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت346 هـ /957م) التنبيه والإشراف، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة د. ت ص265.

(6) المقريزي، تقي الدين أحمد (ت845هـ/1441م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت 1997 ص158.

البريد بجماعة من الروم والفرس وفي عهد ابنه يزيد استعان بكاهن مسيحي ليكون معلماً لولده خالد[1]، كما أنه اختار الطبيب النصراني ابن أثال ليكون طبيبه الخاص، ويُقال أنه ولّاه جباية خراج حمص[2]، وكان كثيراً ما يصغي إلى أخبار وأحاديث اليهودي كعب الأحبار[3].

أما عبد الملك بن مروان فقد انتقى شخصاً من مدينة الرها يُدعى أشناس مؤدباً لأخيه عبد العزيز بن مروان[4]، وكان سرجيون والد القدّيس يوحنا الدمشقي خازناً لبيت المال في عهد عبد الملك بن مروان، وكان ابن البطريق وهو من أهل فلسطين يكتب لسليمان بن عبد الملك، وكان تاذري بن أسطين النصراني من كتّاب هشام بن عبد الملك الذي قلّده ديوان حمص[5].

ومع أنه قد تمّ تعريب الدواوين فترة عبد الملك وابنه الوليد إلا أنه لم يكن حائلاً دون تقليد أهل الذمة تلك المناصب لا سيّما وأن الكثير منهم قد أتقن اللغة العربية، فلم يخلُ ديوان من دواوين الدولة منهم، ولعل ذلك يؤكد لنا ثقة بني أمية فيهم، ومن ناحية أخرى إتقانهم لأعمالهم.

أما في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز فقد كره الخليفة أن يكون لأهل الذمة سلطة عليا على المسلمين في إدارة شؤون الدولة ويظل الاعتماد عليهم باستمرار، لذا فقد أصدر أمراً

---

(1) القلقشندي، أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج14، المطبعة الأميرية، القاهرة 1917 ص368.

(2) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت668هـ/1270م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط1، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت د. ت ص171.

(3) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م) المعارف، ط2، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992 ص413.

(4) ارنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، 1971 ص81.

(5) الجهشياري، محمد بن عبدوس بن عبد الله (ت331هـ/943م) الوزراء والكتّاب، ط1، تحقيق السقا والأبياري، القاهرة د. ت ص34-48-59.

لعماله قائلاً: " إن المسلمين استعانوا في بادئ الأمر بأهل الذمـة لعلمهـم بالجبايـة والكتابـة والتدبير، فكانت لهم في ذلك مدة قد قضاها الله، فلا أعلم كاتباً ولا عاملاً في شيء من عملـك على غير دين الإسلام إلا عزلته واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً" [1]، ولا يمكن لأحد أن يجعـل ذلك منطلقاً يدخل فيه للتشكيك بسماحة عمر بن عبد العزيز وعدله، فهو الذي أسـقط الجزيـة عن الموالي بعد أن ظلّ يجبيها الحجاج وقال : " إن الله بعث محمدا صلّى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه جابياً"[2]، وقد ظل أحد كتّاب النساطرة يضيف كلمات التبجيل إلى اسم الرسول صلى الله عليه وسلم وأسماء خلفائه الأوائل كلما تعرّض لذكرهم وكان يستنزل الرحمة على عمر بن عبد العزيز[3].

وقد حظي أهل الذمة بقدر وافر من الحرية، فهذا الشاعر النصراني الأخطل كان مـن المقربين لدى الخلافة الأموية بالرغم من تعصّبه الشديد للنصرانية، فقد وردت رواية في كتاب الأغاني تؤكد ذلك إذ قال: " عن إسحاق بن عبد الله من بني عبد المطلب قال: قدمت الشام وأنا شاب مع أبي فكنت أطوف في كنائسها ومساجدها فدخلت كنيسة دمشـق وإذا الأخطـل فيهـا محبوس فجعلت أنظر إليه فسأل عني فاخبر بنسبي فقال: يا فتى إنك لرجل شريف وإني أسألك حاجة فقلت: حاجتك مقضية قال: إن القس حبسني ها هنا فتكلمه ليخلي عنـي فأتيـت القـس فانتسبت له فرحب وعظم قلت: إن لي إليك حاجة قال: ما حاجتك قلت: الأخطل تخلـي عنـه قال: أعيذك بالله من هذا مثلك لا يتكلم فيه فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم فلم أزل أطلب إليه حتى مضى معي متكئا على عصاه فوقف عليه ورفع عصاه وقال: يا عدو الله أتعود تشتم

---

(1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب(ت751هـ/1350م) أحكام أهل الذمة، ط1، ج1، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام 1997 ص212.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص213.

(3) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص466.

الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات وهو يقول: لست بعائد ولا أفعل ويستخذي له قال: فقلت له يا أبا مالك الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقدرك في الناس قدرك وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي له قال: فجعل يقول لي إنه الدين إنه الدين"[1]، فهذه الرواية تدل على مقدار الحرية التي تمتّع بها أهل الذمة في العهد الأموي.

ومن خلال ما سبق عن الحالة الاجتماعية في المجتمع الأموي نطرح السؤال التالي: هل للعصبية القبلية والتي ظلت واضحة بشكل جلي –بالرغم من محاربة الإسلام لها ووصفها بأقبح النعوت – أثر في نشأة الخوارج؟

لقد عُرف العربي في الجاهلية باعتزازه بقبيلته وتطرّفه في الدفاع عنها، حتى ليقدّمها على رابطته الزوجية إذا دعت الحاجة لذلك، فقد قال أحدهم في الحرص على هذا الكيان:

فاحفظ عشيرتك الأدنين إن لهم ... حقاً يفرق بين الزوج والمرة

قومي بنوا مذحج والأزد أخوتهم ... وآل كندة والأحياء من علةٍ[2]

وأفراد القبيلة متكافلون متضامنون يتناصرون في السراء والضراء، حتى جرى على لسانهم " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"، وهم يد على من سواهم، حقاً كان مطلبهم أم باطلاً[3]، فقد قال أخو هوازن في وجوب التزام أمر القبيلة في جميع الظروف وشتّى الأحوال:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد[4]

ومن مظاهر العصبية الجاهلية كراهية قبيلة من القبائل أن تخضع لقبيلة أخرى أو لسيد غريب عنها، فكثيراً ما كانت الحروب الطويلة تنشب من أجل ذلك، ولم يكن الأمر يقتصر

---

(1) الأصبهاني، الأغاني، ج8، ص320-321.

(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص8.

(3) عبد الوهاب، لطفي، العرب في العصور القديمة، ط3، دار المعرفة الجامعية، القاهرة 2000 ص180.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص11.

على كراهية الخضوع لقبائل بعيدة الدم والنسب، وكثيراً ما دارت رحى المعارك الطاحنة بـــين القبائل المتقاربة حسباً ونسباً مثل حرب البسوس وحرب داحس والغبراء.

وعندما جاء الإسلام خاطب الناس عامة بلسان واحد، ولم يقدّم شعباً علـــى شـــعب، ولا قبيلة على قبيلة، فالبشر مهما اختلفت ألوانهم وتباينت أجناسهم فإن ميزان التفاضـــل عنـــد الله ليس بعراقة الحسب ولا بأصالة النسب، وإنما بالإيمان والتقوى امتثالاً لقوله تعال: (يَـــا أَيُّهَـــا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَـــاكُمْ)[1]، وقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم خلال سني نبوته أن يجمع القبائـــل المتنـــافرة، وأن يشدّها بعضها إلى بعض، وأن يحوّل مفاخرها بأيامها إلى نصرة الدين الجديـــد، فبعـــد أن كان العرب يتفاخرون بالأنساب ويتفاضلون بالعصبة والعصبية، جاء الإسلام فجمعهـــم تحـــت راية واحدة، وجعلهم يحاربون أعداء دينهم، واستطاع أيضاً أن يحوّل تنازع قبائلهم في ســـبيل السيادة والسيطرة إلى تنافس في خدمة نبيهم، الذي ملك عليهم نفوسهم، وأقرب مثال على ذلـــك الأوس والخزرج فبعد أن كانوا يتنازعون من أجل الرياسة والصدارة في الجاهلية، صـــاروا يتسابقون لإرضاء نبيهم، فما إن تصنع الأوس شيئاً لنصرته حتى تبادر الخزرج إلـــى عمـــل مماثل[2].

ولكن هذا لا يعني أن العصبية الجاهلية اقتلعت جذورها من نفوس النـــاس بـــين عشـــية وضحاها، فابن خلدون يرى أن أعراب البادية لم يعيشوا حياة الإسلام، ولم يمارســـوه كـــاملاً، لأنه لم تتح لهم فرصة التفهم الواعي لأحكامه، ويرى أن أكثر الأعراب الذين سكنوا الأمصـــار

---

(1) القرآن الكريم، سورة الحجرات، آية 13.

(2) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت213 هـ /828م) السيرة النبوية، ط1، ج2، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت 1991 ص275-280.

كانوا جفاةً لم يأخذوا نصيباً كافياً من صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا صقلتهم ســنّته، ولا هذّبتهم سيرته، فضلاً عما كانوا عليه في الجاهلية[1].

أما عند الخوارج فإن أول موقف تمثلت فيه العصبية كان موقف الأشعث بن قيس اختيار ممثل علي في التحكيم، حين اعترض على ترشيح عبد الله بن عباس قائلاً: " لا والله لا يحكّــم فيه مضريّان حتى يكون أحدهما يمانياً " [2]، ولما نبّهه علي وحذّره من تكليــف أبــو موســى الأشعري قدّم عصبيته اليمانية على الراية التي يحارب تحتها، وقال: " لا والله لا يحكــم فينــا مضريان أبداً حتى تقوم الساعة! ولكن يكون رجل من مضر ورجــل مــن الــيمن، والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من اليمن أحب إلينا من أن يكون ما نحب وهما مضــريان"[3]، إن موقف الأشعث في إفراط زائد في اتجاه عصبية قبلية جاء الإسلام لمحاربتها.

ثم لا بد من التعريف بعناصر تكوين الخوارج، فهذا ديمومبين Demombyne يرى أن عدداً كبيراً من الموالي انضم إلى الخوارج حين نادوا بالمساواة بين القبائل وعارضوا حصــر الخلافة في قريش[4]، أما بروكلمان Brockelman فيرى أنهم من القبائل البدوية وبالتحديــد تميم[5]، ويؤيده في ذلك من الباحثين العرب العبادي إذ يرى أنهم من قبائل تميم وحنيفة وربيعة الذين كان لهم شأن كبير في الجاهلية[6]، ويرى أحمد أمين أن الموالي انضموا للخوارج ومــع ذلك فإنهم لم يكونوا ذوي أثر عددي، إذ كان الخوارج من البدو المتعصــبين لجنســهم الــذين

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت808 هـ /1406م) ديوان المبتدأ والخبر في تــاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط2، خليل شحادة، دار الفكر، بيــروت 1988 ص268.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج11، ص544.

(3) ابن أعثم، الفتوح، ج4، ص198.

(4) ديمومبين، النظم الإسلامية، ص48.

(5) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت 1968 ص119.

(6) العبادي، صور من التاريخ الإسلامي، ص176.

يحتقرون الموالي ويزدرونهم[1]، وإن قبائل تميم أمدّت الخوارج بأكبر رصيد لها من العساكر والقادة، فهذه الحركة ولدت في أكناف تميم وتحت رايتها، وكان ذلك حين مرّ بهم الأشعث ليقرأ عليهم كتاب التحكيم، ثم كان أمير القتال فيهم شبث بن ربعي التميمي حين نزلوا حروراء[2]، وكان من زعمائهم حرقوص بن زهير السعدي التميمي[3]، ومسعر بن فدكي التميمي[4] وعروة التميمي وأخوه مرداس [5].

وإن من يتتبع تاريخ الخوارج لا يجد في صفوفهم قرشياً واحداً، بل على العكس من ذلك فإنهم كانوا يحملون لواء التمرد عليه، فقد ناظرهم ابن عباس عند نزولهم حروراء، فتغلب عليهم واستطاع أن يوقع بينهم، فإذا فريق منهم يقولون لأولئك الذين بدا عليهم أنهم أخذوا بقول ابن عباس: " لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم، فإن هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم: (هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [6]، ويظهر أن الخوارج لم يتخلوا عن عصبيتهم ضد قريش، فقد تمكن الضحّاك بن قيس الشيباني من السيطرة على العراق لفترة من الزمن، وقد بايع له عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وسليمان بن هشام بن عبد الملك، فجاء شاعر الخوارج يسجّل ذلك نصراً على قريش فقال:

ألم تر أن الله أظهر دينه ... فصلت قريش خلف بكر بن وائل[7]

---

(1) أمين، أحمد، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت 1969 ص262.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص678.

(3) الدينوري، الأخبار الطوال، ص210. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص82.

(4) ابن أعثم، الفتوح، ط1، ج4، ص255.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص470.

(6) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص123. القرآن الكريم، سورة الزخرف، آية58.

(7) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص3

وهذا شاعر آخر يكشف عن نزعته العصبية وعدائه المستمر لقريش فيقول متوعداً عبد الملك بن مروان :

فإنك إن لم ترض بكر بن وائل ... يكن لك يوم بالعراق عصيب

فلا ضير إن كانت قريش عداتنا ... يصيبون منا مرة ونصيب[1]

إنه لا يخفى ما كانت عليه الجزيرة العربية قبل الإسلام من شظف العيش، وقد جاء في سورة قريش (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (*) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ) [2]، وما إن جاء الإسلام حتى دخل العرب في الدين الجديد وزحفوا بجيوشهم الجرّارة فاتحين البلاد شرقاً وغرباً، فاحتلوا فارس وبلاد الروم وشمال افريقيا وزعزعوا عروش القياصرة والأباطرة، وجمعوا الأموال الطائلة وغنموا الغنائم، ومع الدولة الأموية تضخمت هذه العوائد من فيء وجزية وخراج وغنائم وغيرها الكثير من الموارد بشكل كبير جداً، ولا شك أن لهذه الأموال أثرت في تطور حياة الأمويين على المستويين الاقتصادي والاجتماعي، فقد روى الطبري عن فتح قتيبة لبيكند وعن مبلغ الثروة التي أصابها الفاتحون إذ قال: " أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى، وأمر قتيبة عمّاله أن يذيبوا هذه الأواني، وعندما أذابوها خرج منها خمسون ومائة ألف مثقال، ورجع قتيبة إلى مرو، وقوي المسلمون، فاشتروا السلاح والخيل، وجلبت إليهم الدواب، وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة، وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين..........." [3]، وروي أيضاً أن قتيبة صالح أهل سمرقند على مليونين ومائتي ألف في كل عام[4].

---

(1) إحسان، عباس، شعر الخوارج، ط3، دار الثقافة، بيروت 1974 ص182.

(2) القرآن الكريم، سورة قريش، آية1-2.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص431-432.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص406.

ويذكر البلاذري أن الحجاج بن يوسف الثقفي وجّه محمد بن القاسم الثقفي لفتح السند والهند، فأنفق عليه الأموال الطائلة وأنها بلغت ستين مليون درهم، ونجح ابن القاسم نجاحاً باهراً ووفّق في غزوته، ففتح ما أحجم العرب عن فتحه أيام عثمان، وعاد إلى الحجاج بفيء كثير، بلغت مائة وعشرين مليون درهم[1]، فقال الحجاج: شفينا غيظنا وأدركنا ثأرنا وازددنا ستين ألف ألف درهم[2]، وذكر اليعقوبي أنه كان في بيت مال الوليد يوم قُتل سبعة وأربعون ألف ألف دينار[3]، فليس من الغريب بعد كل هذا أن تتغير الحياة الاجتماعية وتتطور.

ومن نافلة القول أن هذه هي الموجة الثانية من الفتوحات، فالموجة الأولى كانت في عهد عثمان بن عفان وكانت النتيجة ذاتها، إذ أن الهوة زادت بين الفقراء والأغنياء، وطالب الثوّار بعزل الخليفة لإخلاله بقواعد الدين _ على حد تعبيرهم_ وانتهى الأمر بمقتل عثمان وإقبال الناس على مبايعة علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- بالخلافة.

إن ظهور الخوارج كان تعبيراً عن تناقضات واجتماعية، اكتسبت طابعاً دينياً نتيجة تفجير تلك التناقضات من خلال مشكلة الإمامة، لذا فإن جماعة الخوارج تشكّل حزباً سياسياً يتبنى مبدأ العدالة الاجتماعية كما نادى بها الإسلام، ولم يكن مجرد حزب سياسي ديني وحسب، فالأحزاب السياسية في العصور الوسطى رغم مسوحها الدينية الظاهرة إلا أنها تتضمن أبعاداً اجتماعية لا يرقى إليها الشك وتلك ظاهرة سادت العالمين الاسلامي والمسيحي على السواء[4].

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص423.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص423.

(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص402.

(4) اسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، ص15.

وظلت ثورات الخوارج مستمرة، وبعد مقتل ابن الزبير وجد الخوارج أنفســـهم وجهـــاً لوجه أمام بني أمية بما لهم من بأس شديد، وقد أشرنا في الفصلين السابقين إلى معارك كثيــرة بين الطرفين أدت إلى إزهاق الأرواح وخسائر جمّة في الطرفين، ولكن الانشـــقاقات والتـــي أشرنا إليها أيضاً زادت في ضعف الخوارج فانشقّوا إلى جماعات متناحرة جاوزت العشـــرين فرقة، كل منها تكفّر ما عداها وهو أمر أدى إلى تشتيت جهودهم وأتاح لخصومهم ملاحقـــتهم والقضاء على ثورتهم[1].

(1) اسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، ص17-18.

الفصل الخامس

التطورات الاقتصادية في العصر الأموي وأثرها في حركة الخوارج

إن أول ما يُدرس في الشأن الاقتصادي هو الفتوحات، والحديث عن الفتوحات لا يعني عد المنافع والمكاسب المادية، فهي ذات بعد اقتصادي يتمثل في موضوع الإعداد للحملات من جهة، وما قد يُسفر عنه القتال من غنائم وفروض مالية.

لا شك أن الفتوحات وما أكسبته للخزينة كان أعظم تطور اقتصادي في القــرن الأول الهجري/ الثامن الميلادي وسنأخذ نماذج للإحاطة بهذه التطورات، فقد غزا عقبة بن نافع ســنة 50 هــ / افريقيا واختطّ فيها القيروان، وكانت فُتحت أيام عثمان بن عفّان وصالح أهلها علــى مليون ونصف مليون درهم تقريباً، ثم وجّه معاوية حسّان بن النعمان الغسّــاني إلــى افريقيــا فصالحه من يليه من البربر ووضع عليهم الخراج[1].

وكان أمر سجستان على اضطراب فأرسل عبد الله بن عامر الذي ولّاه معاويــة علــى البصرة، عبد الرحمن بن سمرة سنة 42 هــ /662م و 43 هــــ /663م إلى غزو سجســتان، فبلغ كابل وافتتح كوراً من سجستان، وغزا المهلب بن أبي صفرة بالجيش من بعد أرض الهند فبلغوا سفوح جبال كابل وهزموا العيد وملؤوا أيديهم وعادوا سالمين[2]، ثم غزا عبيد الله بــن أبي بكرة بلاد السند سنة 51 هــ /671م فصالحه رتبيل على كابل وجميع بلاده على مليــوني درهم[3].

---

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص224.

(2) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص218.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص381.

وسألت مدن خراسان التي نكثت العهد الصلح ومراجعة الطاعة، فأجابها ولاة خراسان إلى ما سألت، وقطع عبيد الله بن زياد نهر جيحون سنة 54 هـ /674م إلى بخارى وصالحته خاتون بخارى على مليون درهم، وقدم البصرة بخلق من أهل بخارى، وصالحه أهل طبرستان على نصف مليون درهم في السنة، وصالح سعيد بن عثمان بن عفان أهل سمرقند سنة 56 هـ /676م على سبعمائة ألف درهم[1].

أما على الجهة الشمالية فلم يترك المسلمون غزو الروم صيفاً وشتاءً، براً وبحراً في خلافة معاوية، ولكن الحرب لم تكن في هذا الجانب مجزية مادياً فقد كان الدولة البيزنطية دولة يحسب لها حساب، ومع ذلك حقّق المسلمون في هذه الجهة فتح بعض الحصون، وصالحت جزيرة قبرص في خلافة معاوية صلحاً دائماً على سبعة آلاف دينار سنوياً[2].

يقول الذهبي: " وصار تحت حكم معاوية من حدود بخارى إلى القيروان من المغرب، ومن أقصى اليمن إلى حدود القسطنطينية، وإقليم الحجاز واليمن، والشام ومصر والمغرب والعراق والجزيرة وأرمينية والروم وفارس وخراسان والجبال وما وراء النهر أي ما وراء نهر جيحون[3]، وهي بلاد بلغت جبايتها من مال الخراج والجزية في خلافة معاوية ما يقارب خمسمائة وثلاثين مليون درهم وذلك اعتماداً على ما ذكره اليعقوبي[4].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص297-306.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص153.

(3) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748 هـ /1347م) دول الإسلام، ج1، تحقيق فهيم شلتوت، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1974 ص45.

(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص233-234.

واستمرت الفتوحات في عهد يزيد وكان ميدانها ما وراء النهر وسجستان في الشـــرق، وبلاد افريقيا في الغرب، وقيل بلغ سهم المقاتل في حرب السند من الجهـــة الشـــرقية ألفـــين وأربعمائة درهم للفارس وألف ومائتي درهم للراجل[1].

ثم تراجعت حركة الفتوحات في أثناء الخلافات بين عبد الله بن الزبير من جهة وبـــين مروان بن الحكم وولده عبد الملك من جهة أخرى، ولما اجتمعت الأمة على عبد الملك عـــادت الفتوحات ثانيةً إلى سابق عهدها، ففي البلاد الشرقية من الدولة الإسلامية استأنف الحجاج بـــن يوسف حركة الفتوحات وسيّر الجيوش إلى ما وراء النهر وبلاد السند، فصالح المهلب بن أبي ملك الصغد[2] سنة 78 هـ /697م [3]، وأصاب المسلمون سنة 85 هـــ /704م فـــي غـــزو باذغيس[4] مغنماً فأصاب كل رجل منهم ثمانمائة درهم، وأذابوا الفضة والـــذهب مـــن غنـــائم بيكند[5]، فخرج من ذلك خمسون ومائة ألف مثقال، وقوي المسلمون فاشتروا السلاح والخيـــل، وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة[6]، وأتى دهاقين بلخ وملك الصغانين قتيبة بن مســـلم البـــاهلي سنة 86 هـ /705م بهدايا ومفتاح ذهب[7].

---

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص235-236.

(2) الصغد كورة عجيبة قصبتها سمرقند، وقيل: هما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى، وقيل: جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق وصغد سمرقند ونهر الأبلة وشعب بوان، وهي قـــرى متصـــلة خـــلال الأشـــجار والبساتين من سمرقند إلى قريب من بخارى. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص409.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص355.

(4) باذغيس ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ، قصبتها بون وبامئين، بلدتان متقاربتـــان رأيتهما غير مرة، وهي ذات خير ورخص يكثر فيها شجر الفستق، وقيل: إنها كانت دار مملكة الهياطلة. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص318.

(5) بيكند بلد بين بخارى وجيحون. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص533.

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص397.

(7) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص287.

ومنذ سنة 87 هـ /706م مدّ قتيبة فتوحاته إلى بخارى وما وراءها فافتتحها وسبى في حربه مع خوارزم مائة ألف، وصالحوه على عشرة آلاف رأس، وحاصر أهل سمرقند فصالحوه على مليونين ومائتي ألف، وعلى أن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس، وفتح شومان وكش ونسف، وسار إلى رتبيل فصالحه وحاصر فرغانة، وافتتح الشاش[1]، ويقول الشاعر مادحاً قتيبة:

كل يوم يحوي قتيبة نهباً ... ويزيد الأموال مالاً جديداً

باهلي قد ألبس التاج حتى ... شاب منه مفارق كن سوداً[2].

وإن الحديث عن الفتوحات يرتبط بمجموعة من الأمور المالية في الدولة، وهي **الفيء** ما جُبي من أموال أهل الذمة مما صولحوا عليه من جزية رؤوسهم ومن خراج الأرض التي فتحت عنوة، ومن وظيفة أرض الصلح التي منعها أهلها حتى صولحوا على خراج مسمى، ومنه ما يأخذه العاشر من أموال أهل الذمة التي يمرون بها عليه لتجارتهم، ومنها ما يؤخذ من أهل الحرب، إذا دخلوا بلاد الإسلام للتجارة[3].

أما **الجزية** فقد اتبع الأمويون القواعد ذاتها التي كانت متّبعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد الخلفاء الراشدين، فقد أمر الرسول أن يُقاتل العرب من عبدة الأوثان حتى يسلموا ولا تُقبل منهم الجزية[4]، وأن يُقاتل أهل الكتاب من العرب وغير العرب حتى يُعطوا

---

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص302-307. الشاش بلدة بما وراء النهر، ثم وراء سيحون متاخمة لبلاد الترك، ولها عمل وقرى، وهى من أنزه بلاد ما وراء النهر، وقصبتها بنكث. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص308.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص480.

(3) أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت224 هـ /839م) الأموال، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة د.ت ص16.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص69-70.

الجزية عن يد وهم صاغرون، وقد قبل الرسول الجزية من أهل الكتاب من العرب، فقبلها من أهل اليمن وهم عرب إذ كانوا أهل كتاب، وقبلها أبو بكر من الحيرة حين فتحها خالد بن الوليد صُلحاً، وهم أخلاط من تميم[1] وطيء[2] وغسان[3] وتنوخ[4]، ومن خلال الاطلاع على مقدار الجزية التي كانت تفرض، نلاحظ أنه لم يكن هناك تحديد لمقدارها، بل كان الحكام المسلمون يؤكدون على ضرورة فرض الجزية على الحالم بمقدار طاقته، مثل معاهدة النعمان مع أهل ماه بهراذان[5]، ومعاهدة حذيفة بن اليمان مع أهل ماه دينار (نهاوند)، ومعاهدة أصبهان[6]، ومعاهدة نعيم بن مقرن مع أهل الري ودنباوند[7] واللارز والشرز[8]، وفي خلافة الأمويين

(1) تميم بطن من العدنانية، وكانت منازلهم بأرض نجد من هنالك على البصرة واليمامة، وامتدت إلى الغري من أرض الكوفة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر، ولم تبق منهم بادية، وورث مساكنهم غزية من طي، وخفاجة من بني عقيل بن كعب، ومن بطونهم حنظلة، وبنو العنبر. النويري، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص188.

(2) طي قبيلة من كهلان من القحطانية، وكانت منازلهم باليمن فخرجوا منه على أثر خروج الأزمنة ونزلوا سهيراً، وقيل في جوار بني أسد ثم غلبوهم على اجاء وسلمى، وهما جبلان في بلادهم يعرفان الآن بجيلي طي، فاستمروا وافترقوا في أول الإسلام في الفتوحات. النويري، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص326.

(3) بنو غسان حي من الأزد من القحطانية، وهم بنو جفنة والحارث وهو محرق وثعلبة وهو العنقاء وحارثة ومالك وكعب وخارجة وعوف بن عمرو بن مزيقيا، وسموا غسانا لماء اسمه غسان بين زبيد وربع، شربوا منه، وذكر الحمداني: أن في البلقاء طائفة منهم وباليرموك الجم الغفير، وبحمص منهم جماعة. النويري، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص388.

(4) أبو عبيد، الأموال، ص26. تنوخ وهم حي من اليمن يعني من القحطانية، هم ثلاث ابطن نزار، والأحلاف، وفهمي، سموا بذلك لأنهم حلفوا على المقم بمكان بالشام، والتتنخ المقام، قال: وإنهم تتنخوا على ملك بن نهير بن عمرو بن فهيم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوا، وعلى مالك بن فهم عم مالك بن نصر، قد ذكر الحمداني: إن المعرة من بلاد الشام هي صليبة تنوخ بمعنى أن بها جمعهم المستكثر. النويري، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص189.

(5) أبو عبيد، الأموال، ص358.

(6) أبو عبيد، الأموال، ص359.

(7) دنباوند وفي لغة أخرى دباوند: وهو جبل من نواحي الري. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص475.

(8) أبو عبيد، الأموال، ص360.

صالح يزيد بن المهلب أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص فقبلها وكانت مائتي ألف درهم[1]، وصالح يزيد أهل طبرستان توجه إليهم على نقد أربعة آلاف درهم وعلى سبعمائة ألف درهم مثاقيل[2]، وفتح يزيد الرويان ودنباوند على مال وثياب وآنية[3]، وصالح قتيبة بن مسلم غوزك على سبعمائة ألف درهم وضيافة المسلمين ثلاثة أيام[4].

وكانت الجزية في بادئ الأمر جريباً[5]، وديناراً على كل جمجمة، ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الورق أربعين درهماً، وجعلهم طبقات لغني الغني وإقلال المقل وتوسط المتوسط[6]، وقد رفعت الجزية عن الجراجمة مقابل أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام[7]، ولكن الجراجمة كانوا يطيعون الولاة الولاة أحياناً ويعصون حيناً آخر، مما اضطر الوليد بن عبد الملك سنة 89 هـ /708م أن يوجه إليهم مسلمة بن عبد الملك، فافتتحها على أن ينزلوا المكان الذي يختارونه من الشام، ويجري على كل شخص منهم ثمانية دنانير، وعلى عائلاتهم القوت من القمح والزيت، وهو مدّان من قمح وقسطان من زيت وأن لا تؤخذ منهم الجزية وعلى أن يغزوا مع المسلمين

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص326.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص328.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص329.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص406.

(5) الجريب بوصفه مكيالاً سبعة أقفزة وذلك في القرن السابع، وهو يساوي ما يعادل 22.715 كغم من القمح. هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، 1970 ص61.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص127.

(7) البلاذري، فتوح البلدان، ص160. اللّكّام وهو الجبل المشرف على أنطاكية، والمصّيصة، وطرسوس، والبلاد والثغور. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص22.

فينقلوا أسلاب من يقتلونه مبارزة على أن يؤخذ من تجاراتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال[1].

وفي الجزيرة وضع عياض بن غنم الفهري على كل جمجمة ديناراً[2]، وأخرج النساء والصبيان، ووظّف عليهم مع الدينار مدّين قمحاً وقسطين زيتاً وقسطين خلاً وجعلهم جميعاً طبقة واحدة، ويذكر البلاذري أن معاوية جعل ذلك جزية عليهم[3]، ولما تولى عبد الملك بن مروان بعث الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري، فاستقل ما يؤخذ منهم فأحصى الجماجم، وجعل الناس كلهم عمالاً بأيديهم وحسب ما يكسب العامل سنته كلها، ثم طرح من ذلك نفقته في طعامه وإدامه وكسوته وحذائه، وطرح أيام الأعياد في السنة كلها، فوجد بعد ذلك أن كل شخص يستطيع أن يدفع أربعة دنانير فألزمهم ذلك جميعاً[4].

أما في السواد فيذكر البلاذري أن عمر بن الخطاب أمر أن يوضع على الدهاقين الذين يركبون البراذين ويتختمون بالذهب على الرجل ثمانية وأربعين درهماً، وعلى أوسطهم من التجار على رأس كل رجل أربعة وعشرين درهماً في السنة، وعلى الأكرة وسائر من بقي منهم اثنا عشر درهماً على الرجل[5]، وأن عثمان بن حنيف أحصى سكان السواد، وختم في رقاب خمسمائة وخمسين ألف علج[6]، وأن عمر بن الخطاب بعث حذيفة بن اليمان وسهل بن حنيف وأنهما فلجا الجزية على أهل السواد، وقالا: من لم يأتنا فنختم رقبته فقد برئت منه الذمة، فحشدوا وكانوا أول ما افتتحوا خائفين من المسلمين، فختما أعناقهم ثم فلجا الجزية على

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص161.
(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص172.
(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص173.
(4) أبو يوسف، الخراج، ص49.
(5) أبو يوسف، الخراج، ص45.
(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص266.

كل إنسان أربعة دراهم في كل شهر، ثم حسب أهل القرية وما عليهم لدهقان كل قرية" علـــى قريتك كذا وكذا، فاذهبوا وتوزعوا بينكم"، فكانوا يأخذون الدهقان بجميع ما على أهل قريته(1)، وفي هذه الرواية دلالة على الاستعانة بخبرة الدهاقين، لأنهم يملكون الخبرة التـــي تســـاعدهم على القيام بهذا العمل على أكمل وجه، ولأنهم أعرف بسكان منطقتهم وبأوضاعهم المادية، ولا يوجد أي اثبات في المصادر التاريخية أن الأمويين خالفوا هذا المبدأ.

أما في مصر فبعد فتح المسلون لها بعد معاهدة بابليون الأولى فقد فـــرض المســـلمون على أهل مصر الجزية، يقول ابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر والمغرب: " فاجتمعوا على عهد بينهم، واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاهـــا وأســـفلها مـــن القـــبط ديناران ديناران عن كل نفس شريفهم ووضيعهم، من بلغ الحلم منهم، ليس على الشيخ الفـــاني، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا النساء شيء، وعلـــى أن للمســـلمين علـــيهم النـــزل لجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك، كانت لهـــم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم، وأن لهم أرضهم وأموالهم، لا يعرض لهم في شـــيء منهـــا، فشرط هذا كلّه على القبط خاصّة، وحصوا عدد القبط يومئذ خاصّة من بلـــغ مـــنهم الجزيـــة، وفرض عليه الديناران، رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكّدة، فكان جميع من أحصـــى يومئـــذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا ورفعوا أكثر من ســـتّة آلاف ألـــف نفس، فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار في كل سنة"(2).

ويبدو أن الجزية في مصر أعفي منها الرهبان في بادئ الأمر، فيذكر ساويرس أن أول جزية أخذت من الرهبان كانت في عهد عبد العزيز بن مروان، الذي أمـــر بإحصـــاء جميـــع

---

(1) أبو عبيد، الأموال، ص52.

(2) ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت257 هـــ /871م) فتوح مصر والمغرب، مكتبـــة الثقافـــة الدينية، القاهرة 1995 ص92-93.

الرهبان في كل الكور وفي وادي النطرون وسائر الأماكن، وفرض ديناراً جزية على كل راهب، وأمر أن لا يترهب أحد بعد هذا الإحصاء[1]، وأحصى أسامة بن زيد عامل الخراج في مصر من قبل سليمان بن عبد الملك الرهبان مرة ثانية، وتقدم إلى الرهبان أن لا يرهبوا من يأتي إليهم، ووسمهم كل واحد بحلقة حديد في يده اليسرى، ليكون معروفاً، ووسم كل واحد منهم باسم بيعته وديره والتاريخ الهجري، وفرض على كل واحد منهم ديناراً جزية[2]، ولعل هذا الإجراء يعود إلى أن المسلمين عندما فتحوا مصر حافظوا على ما كان موجوداً قبلهم من التقليد الذي يحرّم فرض أي فريضة أو جزية على الرهبان، فوجدت منذ الفتح طبقة مميزة من المسيحيين لا تقع تحت طائلة الأعباء المالية، فقام كثير من الأقباط باللجوء إلى الأديرة لكي يتخلصوا من الضرائب، فلما منع الأصبغ بن عبد العزيز وأسامة بن زيد قبول رهبان جدد، وفرضا الجزية على الرهبان قضيا بذلك على الجانب المادي الذي كان يرغّبهم في الترهب[3].

الخراج:

كتب سعد بن أبي وقاص بعد فتح العراق إلى عمر بن الخطاب يخبره " أن الناس سألوه أن يقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم"[4]، كذلك كتب أبو عبيدة بعد فتح الشام إلى عمر يخبره أن المسلمين سألوه أن يقسم بينهم المدن وأهلها والأرض وما فيها من شجر أو زرع وأنه أبى ذلك عليهم حتى يبعث إليه عمر برأيه[5]، وطلب الجند الذين قدموا من جيش العراق وطائفة من الصحابة أن يقسم عمر الأرضين التي فتحت كما تقسم غنيمة العسكر[6]،

---

(1) ساويرس، سير الآباء البطاركة، ج5، باريس 1910 ص51.

(2) ساويرس، سير الآباء البطاركة، ج5، ص68-70.

(3) دانيل دينيت، الجزية والإسلام، ترجمة فوزي فهيم جاد الله، د.ن د.ت ص130.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص261.

(5) حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط3، مصر 1969 ص376.

(6) أبو يوسف، الخراج، ص28.

وكان من رأي عمر أنه إذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما تسـد بـه الثغور، وما يكون للذرية والأرامل بهذه البلد وبغيره من أهل الشام والعراق[1]، وقد استشـار عمر المهاجرين الأولين فاختلفوا، ثم أرسل إلى عشرة من الأنصار خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم وشرفائهم وشرح لهم الموقف وفائدة ترك الأرض لأصحابها مقابـل وضع الخراج على أرضهم والجزية على رؤوسهم، فتكون فيئاً للمسلمين " المقاتلـة والذريـة ولمن يأتي بعدهم"، فقبلوا رأيه، وكتب عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص : " فـإذا أتـاك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس به إلى العسكر من كراع أو مال واقسمه بين من حضر مـن المسلمين واترك الأرض والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فإنك ان قسـمتها بين ممن حضر لم يكن لمن بقي بعده شيء[2].

وعندما استقر رأي عمر على ذلك كان أول ما فعله هو أن أرسل عثمان بـن حنيـف فمسح السواد فوجده ستة وثلاثين ألف ألف جريب، من تخوم الموصل إلى سـاحل عبـدان[3]، واستصفى عمر من السواد أرض من قتل في الحرب وأرض من هرب، وكل أرض لكسـرى وأهل بيته، وكل مغيض ماء، وكل صافية اصطفاها كسرى[4].

وبعد أن مسح السواد كتب عمر إلى أهل الكوفة يبعثون إليـه رجـلاً مـن أخيـرهم وأصلحهم، وكذلك أهل البصرة، فبعث إليه أهل الكوفة عثمان بن فرقـد، وبعـث إليـه أهـل البصرة الحجاج بن علاط، فاستعمل كل واحد منهما على خراج أرضه[5]، وقد كـان عمـال الخراج مسؤولين أمام الخليفة في العهد الراشدي، أما في خلافة بني أمية فإن معاويـة فصـل

(1) أبو يوسف، الخراج، ص30.
(2) أبو يوسف، الخراج، ص30-31.
(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص264.
(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص268.
(5) أبو عبيد، الأموال، ص135.

ولاية الخراج عن الولاية العامة وجعلها إلى مولاه عبد الله بن دراج[1]، أما سليمان بن عبد الملك فعندما طلب واليه على العراقين يزيد بن المهلب أن يكل أمر الخراج إلى غيره[2]، فإن الولاة أنفسهم كانوا يشرفون على أمر الخراج وتعيين عمال الخراج على الكور المختلفة.

ويذكر القلقشندي أن زياد بن أبيه حين ولّاه معاوية العراق أراد قياس السواد فجمع ثلاثة رجال، رجلاً من طوال القوم، ورجلاً من متوسطيهم، ورجلاً من قصار القوم، وأخذ طول ذراع كل منهم، فجمع ذلك وأخذ ثلثه فجعله ذراعاً لقياس الأرضين وهو المعروف بالذراع الزيادية[3]، وفي سنة 105 هـ /723م قام عمر بن هبيرة في خلافة يزيد بن عبد الملك بمسح السواد، وحدّد الجهات التي تؤخذ منها الضرائب، وهو المسح الذي صار قاعدة النظام المالي في تلك الولاية حتى بعد انتهاء العصر الأموي وقيام العباسيين، وفي نهاية عهد المنصور أعيد مسح السواد وطبّق نظام المقاسمة[4].

وفي مصر طبّق عمر بن الخطاب نفس النظام الذي طبّق في السواد والشام والجزيرة، فأجرى الأرض العنوة مجرى الصلح، وقد اختلف الآراء والروايات حول مقدار الوظيفة الخراجية التي وضعت فذكر البلاذري ثلاث روايات، الأولى أن عمر ألزم كل ذي أرض ثلاث أرداب حنطة وقسطي زيت وقسطي عسل وقسطي خل رزقاً للمسلمين تجمع في دار الرزق وتقسم فيها[5]، والثانية أنه وضع الخراج على أرض مصر، فجعل على كل جريب

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص287.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص524.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج2، ص156.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص355.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص212.

ديناراً وثلاثة أرداب[1] طعام[2]، والثالثة أن أهل الجزية بمصر صولحوا في خلافة عمر بعد الصلح الأول مكان الحنطة والزيت والعسل والخل على دينارين فألزم كل رجل أربعة دنانير فرضوا بذلك وأحبوه[3]، ومن هذه الروايات يتبين أن جزية الرؤوس كانت تدفع نقداً، بينما كان الخرج يدفع نقداً وعيناً، وكان يطلق على الضريبة التي تدفع عيناً في أوراق البردي العربية اسم ضريبة الطعام[4]، ومن المؤكد أن الضرائب التي كانت ترسل للخلافة عيناً ونقداً، وأنه عقب الفتح بدأت مصر ترسل القمح إلى المدينة، كما كانت ترسله لروما ومن ثم لبيزنطة، وقد بعث عمر لعمرو بن العاص برسالة سنة 21 هـ /642م يعلمه ما فيه أهل المدينة من الشدة، وأمره أن يبعث إليه ما يجمع من الطعام في الخراج، فكان ذلك يُحمل إليه ومعه الزيت، وانقطع في زمن فتنة عثمان، ثم حُمل في أيام معاوية ويزيد، ثم انقطع إلى زمن عبد الملك بن مروان ثم لم يزل يُحمل إلى خلافة المنصور[5].

ولدينا نصوص تاريخية تبيّن لنا مقدار ما كان يُرسل نقداً إلى بيت المال في مقر الخلافة، ففي زمن معاوية أرسل واليه على مصر مسلمة بن مخلد إلى الحجاز مبلغ ستمائة ألف دينار، وذلك بعد أن أعطى أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالاتهم وأرزاقهم ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة[6]، ويشير المقريزي إلى أن خراج مصر انخفض في عهد خلفاء الأمويين ومن بعدهم العباسيين، باستثناء فترة هشام بن عبد الملك الذي أوصى

---

(1) الإردب مكيال تقدر به الحبوب يسع أربعة وعشرين صاعاً. ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت606 هـ/1210م) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج1، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت 1979 ص37.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص214.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص216.

(4) دانيل دينيت، الجزية والإسلام، ص147.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص84.

(6) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص128.

عبيد الله بن الحبحاب عامل مصر بالعمارة، فخرج بنفسه ومسح العامر من أراضـــي مصـــر، والغامر مما يركبه ماء النيل، فوجد قانون ذلك ثلاثين ألف ألف فدّان سوى ارتفـــاع الجـــرف ووسخ الأرض فراكها كلها، وعدّ لها غاية التعديل، فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينـــار هـــذا والسعر راخ، والبلد بغير مكس، ولا ضريبة[1]، كما ذكر المقريزي أن الحبحاب كتـــب إلـــى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتمل الزيادة، فزاد على كل دينار قيراطـــاً، فانتفضـــت كور مختلفة منها قربيط وطرانية وعامة الحوف الشرقي، وهذا يؤكد أن الازدياد في الخـــراج يعود إلى الزيادة في الأراضي من جهة، وزيادة الخراج من جهة ثانية[2].

وفي افريقيه (تونس) طبّق الأمويون نفس النظام الذي طبقه عمر، وأجروا أرض العنوة مجرى أرض الصلح، وكتب حسان الخراج على عجم افريقيه ومن أقام معهم على النصـــرانية من البربر والبرانس[3]، أما أرض البربر الذين أسلموا فإن حسان حاول أن يفرد لكل قبيلة من البربر جزءاً من الأرض يخصهم بها ويقفهم عليها، في خطوة منه إلـــى دفـــع القبائـــل إلـــى الاستقرار، وفي ذلك يقول المالكي: " فمن ذلك صارت الخطط للبربر في افريقيه، فكان يقســـم الفيء بينهم والأرض"[4].

---

(1) المقريزي، أحمد بن علي (845 هـــ /1441م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثـــار، ط1 ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت 1997 ص185.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، ص185.

(3) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، ص143.

(4) المالكي، أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله (ت453 هـــ /1061م) رياض النفوس في طبقـــات علمـــاء القيروان وافريقيا، ط1، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1951 ص36.

المسلمون حديثاً في عهد الأمويين:

واجه المسلمون في عهد الأمويين مشكلة استحدثت عليهم، ولم يواجهها الخلفاء الراشدون، وهي دخول سكان الأقاليم المختلفة في الإسلام، ولم يكن وضع أهل الذمة واحداً، فقد كانت هناك مدن صولح أهلها على مبلغ معين من المال، وأرض صلح على سكانها الجزية وعلى أرضها الخراج، يؤخذ منهم ما صولحوا عليه، فعمر بن الخطاب كان يأخذ ممن صالحه من أهل العهد ما صالحهم عليه، لا يضع عنهم شيئاً ولا يزيد عليهم[1]، وأرض عنوة أجريت مجرى الصلح، فالأرض أرض خراج، وللإمام أن يضع عليهم الخراج حسبما يرى، ولا يكلفوا من ذلك ما لا يطيقون[2].

والمدن التي صولح أهلها على مبلغ من المال فكان على أهلها أن يدفعوا ما صولحوا عليه ويخلي بينهم وبين أرضهم، ولا يوضع عليها شيء ما أقاموا بصلحهم يؤدونه إلى المسلمين، وإن تظالموا فيما بينهم حملهم إمام المسلمين على العدل، ووضع ذلك الصلح عليهم جميعاً بقدر ما يطيقون في أموالهم وأرضهم، لا يطرح عنهم شيء لموت من مات ولا لإسلام من أسلم، وهذا ما يُفهم من أمر عمر بن عبد العزيز عندما كتب إلى حيان بن شريح أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم[3].

أما أرض العنوة فكانت واضحة المعالم، فمن أسلم فهو حر مسلم، وتطرح الجزية عن رأسه[4]، أما الأرض فيبقى الخراج عليها لأنها فيء للمسلمين[5]، ويعتمد أبو عبيد أن أرض العنوة لا يوضع عنها الخراج إذا أسلم صاحبها قول عمر للرجل حين قال: إني قد أسلمت

---

(1) أبو عبيد، الأموال، ص144.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص75.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص113.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص182.

(5) أبو يوسف، الخراج، ص75.

فضع عن أرضي الخراج، فقال: إن أرضك أخذت عنوة[1]، وقول علي لدهقان من أهل عـين التمر أسلم : أما جزية رأسك فنرفعها، وأما أرضك للمسلمين فإن شئت فرضنا لك، وإن شئت جعلناك قهرماناً لها، وقول عمر في دهقانة نهر الملك حين أسلمت : دعوها في أرضها تؤدي عنها الخراج[2].

ويُذكر أن عبد الملك بن مروان عندما سُئل عن القطائع، وجد أنه لم يبق من الصوافي شيء، فنظر عبد الملك بن مروان من أرض الخراج التي باد أهلها ولم يتركوا عقباً، ورفع ما كان عليها من خراجها عن أهل الخراج، ولم يحمله أحداً من أهل القرى وجعلها عشراً، فما زال ذلك يفعل حتى لم يبق من تلك الأراضي شيء، فسأل الناس عبد الملك والوليد وسليمان قطائع من أرض القرى التي بأيدي أهل الذمة فرفضوا ذلك، فسألوهم أن يأذنوا لهم في شراء الأرض من أهل الذمة، فأذنوا لهم بإدخال أثمانها لبيت المال، وتقوية أهل الخراج به على خراج سنتهم الذي عجزوا عن أدائه، وسجلوا ذلك في الدواوين[3]، ووضعوا خراج تلك الأراضي على من باعها منهم وعن أهل قراهم، وصارت هذه الأراضي التي اشتراها المسلمون أرض عشر[4].

وعندما جاء عمر بن عبد العزيز لم يتعرض للقطائع التي أقطعها معاوية وعبد الملك وسليمان، وتركها لأهلها تؤدي العشر، كما لم يتعرض للأراضي التي اشتراها المسلمون بإذن ولاة الأمر لاختلاط الأمور فيها من المواريث ومهور النساء وقضاء الديون، وأيضاً أعرض عن الأشرية التي شراها المسلمون بغير إذن ولاة الأمر، لما وقع في ذلك من المواريث

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص264.

(2) أبو عبيد، الأموال، ص72.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص207.

(4) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص207-208.

واختلاط الأمر، وترك الأرض بيد أصحابها على أنها أرض عشرية، ولكن أصدر أمراً سنة 100 هـ /718م قُرئ على مسامع الناس جميعاً، بأن من يشتري أرض خراجية فإن بيعه مردود[1]، بمعنى أنه منع شراء الأرض الخراجية، كما أنه خيّر من أسلم من أهل الخراج أن يبقى في أرضه يؤدي عنها الخراج، أو أن يردها إلى من يؤدي عنها الخراج من أهلها[2].

وهناك أدلة كثيرة تؤكد أن عمر بن عبد العزيز أسقط الجزية عمّن أسلم وليس الخراج، وابن عبد الحكم يذكر في كتابه فتوح مصر والمغرب ما يلي: " أيّما ذمّي أسلم فإن إسلامه يحرز له نفسه وماله، وما كان من أرض فإنها من فيء الله على المسلمين"[3]، وهناك رواية رواها الليث بن سعد تقول أن عمر بن عبد العزيز وضع الجزية عمّن أسلم من أهل الذمة من أهل مصر[4]، وفي رسالة من عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبد الله والي خراسان حول وضع الجزية عمّن أسلم : " أنظر من صلى قبلك إلى القبلة، فضع عنه الجزية فسارع الناس إلى الإسلام، فقيل للجراح: إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام، وإنما ذلك نفورا من الجزية، فامتحنهم بالختان، فكتب الجراح بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعياً ولم يبعثه خاتناً وقال عمر: ابغوني رجلاً صدوقاً[5].

الصوافي:

كان من نتائج الفتح أن أراضي عديدة في الشام والجزيرة والعراق ومصر أصبحت بدون مالك، إذ غادرها أهلها، أو أنها كانت تابعةً للملوك أو رجال الدين أو النبلاء، وقد استقر عمر على ضمّها إلى بيت المال، وسميت بالصوافي لأنه استصفاها لأنه جعلها خالصةً

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص207.
(2) أبو عبيد، الأموال، ص94.
(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص180.
(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص180.
(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص559.

للمسلمين، وأطلق عليها أيضاً مسمى القطائع لأنها اقتطعت فيما بعـد لمـن يتعهـدونها، قـال صاحب كتاب الخراج: أما القطائع من أرض العراق فكل ما كان لكسرى ومرازبته وأهل بيته مما لم يكن في يد أحد، وكل من فرّ من أرضه وقتل في المعركة أو كل مغيض ماء أو أجمـة، فكان عمر يقطع من هذه لمن أقطع[1]، ويتابع أبو يوسف أن الصوافي بمنزلة المال الـذي لـم يكن لأحد ولا في يد وارث فلإمام العادل أن يجيز منه، ويعطي من كان له غناء في الإسـلام، ويضع ذلك موضعاً ولا يحابي به، فكذلك هذه الأرض فهذا سبيل القطائع في أرض العـراق، والذي صنع الحجاج ثم فعل عمر بن عبد العزيز، وأرض القطائع قد يؤخذ منهـا العشـر، أو يؤخذ منها الخراج إذا كانت تشرب من أنهار الخراج، وهذا يرجع إلى رأي الإمـام، ويؤخـذ العشر من أصحابه إذا اضطر إلى حفر الأنهار وبناء البيوت وعمل الأرض، لأن فـي هـذا مشقّة عظيمة على صاحب الإقطاع[2]، وقد كان لعبد الله بن مسعود أرض خراجيـة، وكـذلك للحسين بن علي وللعديد من الصحابة أراض خراجية، وكان لشـريح أرض خـراج، فكـانوا يؤدون عنها الخراج[3]، وكانت هذه القطائع كلها مثبتة في الديوان، فلما أحرق الـديوان أيـام الحجاج بن يوسف، أخذ كل قوم ما يليهم[4].

وقد بدأ يظهر في العصر الأموي نظام الإلجاء وهو أن يلتجئ صـاحب الأرض إلـى بعض الكبراء، فيكتب ضيعته باسمه، فلا يتجرأ الجباة على الظلم والعسف، ويجعـل صـاحب الضيعة نفسه مزارعاً له، ويدوّن ذلك في دفاتر الحكومة، فتصبح تلك الضيعة بتوالي الأيـام

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص68. البلاذري، فتوح البلدان، ص180.
(2) أبو يوسف، الخراج، ص69.
(3) أبو يوسف، الخراج، ص73.
(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص268.

ملكاً للملجأ إليه[1]، وعندما انبثقت البثوق في منطقة البطائح في ولاية الحجاج، كتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بذلك، وأن سدّها يكلّف ثلاثة ملايين درهم فاستكثرها الوليد، فتطوّع مسلمة بن عبد الملك بالإنفاق عليها، وأن يتولى الحجاج أمر الإنفاق، لقاء أن يقطعه الوليد الأراضي المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد إنفاق الملايين الثلاثة، فأجابه الوليد إلى ذلك، فحصل على أراضي كثيرة وطساسيج متصلة، وتألّف الأكرة والمزارعين وعمّر تلك الأراضي، ومن ثم ألجأ الناس إليه ضياعاً كثيرة للتعزز به[2]، وعندما عسكر مروان بن محمد والي أرمينيا وأذربيجان في المراغة بعد انصرافه من غزو موقان وجيلان، ألجأ أهلها أراضيهم إلى مروان، فابتناها، وتألّف وكلاؤه أهلها فكثروا فيها للتعزز بها[3]، ثم إن العرب عندما نزلت أذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصرين والشام، وغلب كل قوم على ما أمكنهم، وابتاع بعضهم الأراضي من العجم، وألجئت إليهم القرى للخفارة فصار أهلها مزارعين[4].

العشور

تشابه العشور في وقتنا الحاضر ما يسمى بالضرائب، وكانت تؤخذ من التجار المسلمين ربع العشر، ومن أهل الذمة نصف العشر، ومن أهل الحرب العشر[5]، وكان عمر بن الخطاب أول من عشّر من أهل الحرب إلى عمر طالبين منه السماح لهم بدخول أرض المسلمين كتجار مقابل أن يدفعوا العشر، فاستشار عمر الصحابة في ذلك، فأشاروا عليه أن

---

(1) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، ص355.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص288.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص321.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص321.

(5) أبو يوسف، الخراج، ص161.

يفعل[1]، ولم تكن الضريبة تؤخذ من التاجر إلا مرة واحدة في السنة إذا انتقل من بلده إلى بلد أخرى، وكان العاشر يكتب لهم كتاباً بما يأخذه[2]، والمقريزي يستخدم لفظة المكس والمقس، فيقول إن المقس كانت ضيعة تعرف بأم دنين، وإنما سميت المقس لأن العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس، فقيل المكس فقلب فقيل المقس[3]، ويقول المقريزي أن أخذ العشر مرة واحدة من التاجر لم يطبق إلا في فترة عمر بن عبد العزيز: " وليس العمل عندنا على قول عمر بن عبد العزيز لزريق بن حيان: واكتب لهم بما يؤخذ منهم كتاباً إلى مثله من الحول، ومن مرّ بك من أهل الذمّة فخذ مما يديرون من التجارات من كل عشرين دينارا ديناراً، فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير، فإن نقص منها ثلث دينار، فدعها ولا تأخذ منها شيئاً، والعمل على أن يأخذ منهم العشر وإن خرجوا في السنة مراراً من كلّ ما أتجروا به قل أو كثر "[4]، وإن كل ما يؤخذ من المسلمين من العشور فسبيله سبيل الصدقة، وسبيل ما يؤخذ من أهل الذمة جميعاً وأهل الحرب سبيل الخراج[5].

الخمس

وهو خمس الغنيمة وهو ما غلب عليه المسلمون بالقتال قلّ أو كثر[6]، أما الأرض فإلى فإلى الإمام إن رأى أن يخمسها ويقسم أربعة أخماسها للذين ظهروا عليها فعل ذلك، وإن رأى أن يدعها فيئاً للمسلمين فعل بعد المشورة والاجتهاد، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد

(1) أبو يوسف، الخراج، ص161.
(2) أبو يوسف، الخراج، ص160.
(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج3، ص218.
(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج3، ص219.
(5) أبو يوسف، الخراج، ص160-161.
(6) القرشي، يحيى بن آدم (ت203 هـ /818م) كتاب الخراج، مطبعة بريل، ليدن 1895 ص3.

وقف بعض ما ظهر عليه من الأرض فلم يقسمها، وقد قسم بعض ما ظهر عليه[1]، والواجب في المغنم تخميسه، فيقول تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) [2]، أما الباقي فيقسم بين الجند من أهل الديوان وغيرهم[3]، يقول عمر بن الخطاب: الغنيمة لمن شهد الوقيعة، وقد بقيت الغنائم تقسم بين الغانمين في عهد بني أمية عندما كان المسلمون يغزون الروم والترك والبربر[4]، وتقدير الخمس كان يعتمد إلى حد كبير على أمانة قائد الحملة ودقته في تسجيل الغنائم أو رغبته في التباهي، مثلما فعل يزيد بن المهلب عندما كتب إلى سليمان بن عبد الملك مفتخراً بفتحه جرجان وطبرستان، وإن خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار كل ذي حق حقه من الفيء، والغنيمة ستة آلاف ألف وأنه حامل ذلك إلى أمير المؤمنين[5]، ونصحه كاتبه المغيرة بن أبي قرة أن لا يكتب إليه بقيمة المبلغ لأنه عند ذلك سيضع نفسه في موقف محرج، فإما أن يستكثر سليمان المبلغ ويطلب إليه أن يحمله إليه، وإما أن يسوغه المبلغ فلا بد من أن يقدم له هدية " فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقله، ولم يقع منه موقعاً"[6]، وقد حدث هذا بالفعل فإنه عندما أصبح عمر بن عبد العزيز خليفة طالب يزيد بن المهلب بالمبلغ، فأخبره إنما ذلك لكي يسمع الناس به[7]، فاضطر عمر بن عبد العزيز أن يحبسه، لأنه عجز عن دفع المبلغ الذي

---

(1) القرشي، كتاب الخراج، ص5.

(2) سورة الأنفال، آية 41.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص21.

(4) ابن تيمية، أبو العباس احمد بن عبد الحليم (ت728 هـ /1328م)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية 1998 ص29.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص544.

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص544.

(7) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص557.

يعتبر حقاً من حقوق المسلمين[1]، ومن هنا يتبين أن بني أمية لم يكونـــوا يطبقـــون القواعـــد المطبقة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان الخمس يوزّع على خمسة أســـهم لله وللرسول سهم، ولذي القربى سهم، ولليتامى وللمساكين وابن السبيل ثلاثة أسهم، ثم قسمه أبـــو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم على ثلاثة أسهم، وسقط سهم الرســـول وســـهم ذوي القربى، وقسّم على الثلاثة الباقين[2].

الصدقة

والصدقة هي زكاة أموال المسلمين من الذهب والورق والابل والبقـــر والغـــنم والحـــب والثمار، يضاف لذلك ما يؤخذ من المسلمين من العشور، عشور الأموال وربع العشـــر الـــذي يؤخذ من تجارتهم[3]، ويظهر أن الأمويين قد وضعوا على أهل اليمن صـــدقاتهم وظـــائف إن افتقروا لم ينقصوا، وإن استغنوا زيد عليهم، فلما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز كتـــب إلـــى واليه على اليمن أن يبطل هذا الحيف، وأن يأخذ منهم ما يرى عليهم من الحق، وأن يقسم ذلك على فقرائهم[4].

الضرائب الإضافية التي فرضها الأمويون

لم يكتف الأمويون بالجزية والخراج والعشور من التجارة، بل فرضوا أنواعاً أخرى من الضرائب الإضافية التي أتى عمر بن عبد العزيز للخلافة فألغاها، فقد فرضوا ضرائب موحدة على الأراضي المزروعة وغير المزروعة، كما أنهم حصّلوا ضرائب إضافية كانـــت تقليـــداً لرسوم ساسانية قديمة كهدايا النيروز والمهرجان، وقد ذكر الجاحظ في كتابه التـــاج : " ومـــن

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص557.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص21.

(3) أبو عبيد، الأموال، ص16.

(4) أبو عبيد، الأموال، ص16.

حق الملك هدايا المهرجان والنيروز، والعلة في ذلك أنهما فصلا السنة، فالمهرجـان دخـول الشتاء وفصل البرد، والنيروز إذن بدخول فصل الحر، إلا أن في النيروز أحوالاً ليست فـي المهرجان؛ فمنها استقبال السنة، وافتتاح الخراج، وتولية العمال، والاستبدال، وضرب الدراهم والدنانير، وتذكية بيوت النيران، وصب الماء، وتقريب القربان، وإشادة البنيان، وما أشبه ذلك، فهذه فضيلة النيروز على المهرجان، ومن حق الملك أن يهدي إليه الخاصة والعامة"[1].

وفي سنة 43 هـ /663م عُزل عبد الله بن عامر بن قيس عن خراسان لأنـه اسـتبطأ قيساً بالخراج، ولأنه أمسك عن الهدية، فيبدو أن الهدية أصبحت واجباً حتى جاء عمر بن عبد العزيز فألغاها.

ولدينا كتاب أرسله عمر بن عبد العزيز إلى عامله ولعلنا في ذلك نتبين بعض الضرائب الإضافية: " وأمرتك أن لا تحمل خراباً على عامر، ولا تأخذ من الخراب إلا ما يطيق ولا من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق، وتسكين لأهل الأرض، وأمرتك أن لا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها أس ولا أجور الضرابين، ولا إذابة الفضة، ولا هدية النيروز والمهرجان، ولا ثمن الصحف، ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح"[2].

وهنا بعد هذا العرض لموارد الحياة الاقتصادية، وتحديداً الضرائب التي كانت تفرضـها الدولة الأموية، يُطرح السؤال التالي، ما هو موقف الخوارج من هذا الوضع الاقتصادي؟

لا شك أن الخوارج كانوا يرون في هذه الاجراءات مزيداً من الظلم والعسف، وأنـه لا يجوز دفعها، وهذا منطلق من كون الخوارج ينظرون إلى الأمويين على أساس أنهم مغتصبين للخلافة، وأنها ليست من حقهم، لقد وقف الخوارج كثيراً مؤيدين حق البسطاء ضـد سـلطات

---

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر(ت255 هـ/869م) التاج في أخلاق الملوك، ط1، تحقيق أحمد زكـي باشـا، المطبعة الأميرية، القاهرة 1914 ص146.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص130. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص305.

الدولة الأموية، ففي ولاية الحجاج بن يوصف الثقفي نجد أنهم شاركوا في انتفاضة فلاحي البصرة على الحجاج نفسه، وقد وجد الخوارج أنصاراً لهم في المدن بعد أن هرب إليها الفلاحون من الريف، وذلك فراراً من عسف جباة الدولة الأموية، وبعد أن تسامع كادحوا المدن أن الخوارج يقفون بجانب المظلومين من أهل الريف[1]، إن هذه المواقف التي كان يطرحها الخوارج كانت وسيلة ناجحةً لجلب المؤيدين، فهناك مجموعة من المجوس أسلموا وانضموا إلى صفوف الخوارج، ففرض لكل واحد منهم خمسمائة دينار[2]، غير أن المسألة ليست مجردة كذلك، فإنه بالرغم من التأييد الذي كان يناله الخوارج من الفئات المظلومة في الريف أو في المدن، كان كثير من هذه الفئات نفسها تنفر أكثر الأحيان من أسلوب العنف والارهاب الدموي، الذي سلكه الخوارج، ولا بد من إضافة موقف إيجابي آخر للخوارج وهو موقف التسامح تجاه البسطاء من غير المسلمين ومن غير العرب، أي أنهم كانوا متحررين من عقدة التعصب ضد الديانات الأخرى، وضد الأقوام الآخرين، لذا كان التعامل بينهم قائماً على المساواة دون تمييز يرجع إلى اعتبار الدم أو النسب أو اعتبار الجنس والدين، رغم تشددهم المذهبي المعروف، وهذا تناقض يلفت النظر، قد يرجع تحررهم ذاك إلى سببين أولهما أن الروابط التي جمعتهم كحركة قد تركزت بعد مقتل علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- في نقطة واحدة هي الموقف المعادي للسلطة الأموية، وكانت هذه النقطة مركز جذب لديهم، تجتذب الأنصار من غير نظر إلى عصبيات تقسيمية لحركتهم، وثانياً أن حركة الخوارج جمعت منذ البدء أفراداً من قبائل عدة، ولم يكن تنظيمهم يثير رواسب الحساسيات القبلية بشأن الرئاسة[3].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص614. مروة، النزعات المادية، ج1، ص512.

(2) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص253. مروة، النزعات المادية، ج1، ص512.

(3) مروة، النزعات المادية، ج1، ص512.

الخاتمة

لا شك أن ظهور الخوارج لم يكن مجرّداً من النواحي الاقتصادية والاجتماعية، فقد وقف الخوارج كثيراً مؤيدين حق البسطاء ضد سلطات الدولة الأموية، فكانوا يشاركون في انتفاضات الفلاحين على الدولة الأموية، ووجدوا أنصاراً لهم في المدن بعد أن هرب إليها الفلاحون من الريف، وذلك فراراً من عسف جباة الدولة الأموية، وبعد أن تسامع كادحوا المدن أن الخوارج يقفون بجانب المظلومين من أهل الريف.

سواء أكان انطلاق حركة الخوارج هو امتداد للثورة على عثمان بن عفان، أو هو نتيجة لحادثة التحكيم فإن الخلاف الذي جرى حول مسألة التحكيم السبب الرئيسي في تبلور أفكار الخوارج الأولى، حيث تكونت إثر هذه الحادثة أولى مبادئهم، وهي تشكيك علي في حقه بالخلافة، وما أدت إليه من طلبهم منه التوبة، ثم أدى ذلك إلى نعته بالكفر، ثم ظهر لديهم مبدأ وجوب الخروج على السلطان من غيرهم، لأن الحكام من بعد التحكيم ضالّون وكافرون ويجب إزالتهم، ولذلك كان الحكّام من بني أميّة ظالمين وفاسقين ويجب قتالهم والتخلص منهم، وهذا واضح من أقوال زعمائهم.

قيل عن عبد الملك بن مروان أنه كان جباراً على معانديه، قوي الهيبة، واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في جربهما مع الحجاج الثقفي، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وكان يقال أيضاً: معاوية للحلم، وعبد الملك للحزم، وعندما تولى الحكم كانت حركة الخوارج في أشدها، وبمعنى آخر أنها كانت قد وصلت إلى مرحلة النضج، فلدينا

حركات خارجية عديـدة أهمهـا حركـة عبـد الله بـن ثـور الخـارجي64 هـ /684م، وحركة قطري بـن الفجـاءة71-78 هـ / 690- 697م، وحركـة عبـد ربـه الكبيـر 76-77 هـ /695-696م، وحركـة صـالح بـن مسـرح70-76 هـ / 689-695م، وبقدر ما كانت هذه الحركات قوية ومؤرقة للدولـة الأمويـة، إلا أنـه بفضـل حـزم عبـد الملك بن مروان وصلابة واليه على العـراق الحجـاج بـن يوسـف الثقفـي وقـوة القائـد المهلب بن أبي صفرة تمكنوا من إخمـاد هـذه الحركـات وتثبيـت أركـان الدولـة بعـدما كانت تعاني الأمرّين.

قائمة المصادر

أولاً: القرآن الكريم.

ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم (ت630 هـ /1233م) **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ط1، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت 1994.

ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت 630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1997.

ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت606 هـ/1210م) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت 1979.

ابن أعثم، أحمد بن محمد بن علي (ت314 هـ /926م) **الفتوح**، ط1، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت 1991.

الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت356 هـ /967م) **مقاتل الطالبيين**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت " د.ت" .

الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت356 هـ /967م) **الأغاني**، مكتبة إحياء التراث العربي، بيروت 1994.

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت668هـ/1270م) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ط1، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت د. ت .

البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت1093 هـ /1682م) **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ط4، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1997 .

البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية (ت245 هـ /860م) **المنمق في أخبار قريش**، ط1، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت 1985.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429 هـ /1037م) **الفرق بين الفرق**، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت 1977 .

البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487 هـ /1094م) **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ط3، ج1، عالم الكتب، بيروت 1983 .

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279 هـ /892م) **أنساب الأشراف**، ط1، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت 1996 .

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279 هـ /892م) **فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1988 .

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت485ه/1066م) **السنن الكبرى**، ط3، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 2003.

ابن تيمية، أبو العباس احمد بن عبد الحليم (ت728 هـ /1328م)، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية 1998 .

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب (ت255 هـ /869م) **البخلاء**، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1999.

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255 هـ /869م) **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت 2003 .

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255 هـ /869م) **التاج في أخلاق الملوك**، تحقيق أحمد زكي باشا، ط1، المطبعة الأميرية، القاهرة 1914 .

الجهشياري، محمد بن عبدوس بن عبد الله (ت331 هـ /943م) **الوزراء والكتاب**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1938.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597 هـ /1201م) **تلبيس ابليس**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 2001 .

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597 هـ /1201م) **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، ط1، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1992 .

ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو (ت245 هـ /860م) **المحبر**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1942 .

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت852 هـ /1448م) **لسان الميزان**، ط2، تحقيق دائرة المعرف النظامية في الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1971.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت852 هـ /1448م) **تهذيب التهذيب**، ط1، ج7، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند 1922 .

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت656 هـ /1258م) **شرح نهج البلاغة**، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة .

ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد المدائني (ت655 هـ /1257م) **شرح نهــج البلاغــة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1969 .

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت456 هـــ /1063م) **جمهرة أنساب العرب**، ط1، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت 1983 .

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد (ت562 هـ /1167م) **التذكرة الحمدونيــة**، ط1، دار صادر، بيروت 1997 .

الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626 هـ /1229م) **معجم البلدان**، ط2، دار صـــادر، بيروت، 1995 .

الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله (ت900 هـ /1495م) **الــروض المعطـــار فـــي خبـــر الأقطار**، ط2، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت 1980 .

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت241 هـ /855م) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط1، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الرياض 2001.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت808 هـــ /1406م) ديوان **المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبــر**، ط2، تحقيــق خليــل شحادة، دار الفكر، بيروت 1988.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681 هـ /1282م) **وفيات الأعيان وأنبــاء أبنـــاء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، ط1، ج7، دار صادر، بيروت 1994 .

ابن خياط، أبو عمر خليفة العصفري (ت240 هـ /854م) **تاريخ خليفة بن خياط**، ط2، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، دمشق 1977 .

ابن الخياط، أبو عمر خليفة (ت240 هـ /852م) **طبقات خليفة بن خياط**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق 1993 .

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت281 هـ /894م) **الأخبار الطوال**، ط1، تحقيق عبد المنعم عامر مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة 1960 .

الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276 هـ /890م) **الإمامة والسياسة**، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، 1997 .

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت281 هـ /894م) **المعارف**، ط2، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992 .

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748 هـ /1347م) ت**اريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان** ، ط2، تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي ، بيروت 1993 .

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748 هـ /1347م) **العبر في خبر من غبر**، ط1، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت 1985.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748 هـ /1347م) **تذكرة الحفاظ**، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت 1998 .

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748 هـ /1347م) **دول الإسلام**، تحقيق فهيم شلتوت، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1974 .

الرازي، عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم (ت327 هـ /938م) **الجرح والتعديل**، ط1، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت1952 .

الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت1205هـ/1790م) **تاج العـروس مـن جـواهر القاموس**، ج23، تحقيق المجموعة، دار الهداية ، القاهرة،1965 .

الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت236 هـ /851م) **نسب قريش**، ط3، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة 1951 .

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت538 هـ /1143م) ط1، ر**بيع الأبرار ونصوص الأخيار**، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1992 .

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت168 هـ /785م) **الطبقات الكبـرى**، ط1، ج7، تحقيـق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1990 .

ابن سيده، علي بن اسماعيل (ت458 هـ /1066م) ال**مخصص**، ط1، تحقيق خليـل إبـراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1996.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911 هـ /1505م) **تاريخ الخلفاء**، ط1، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، 2004 .

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت548 هــ /1153م) **الملـل والنحـل**، مكتبـة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1976 .

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت1250 هـ /1834م) **نيـل الأوطـار**، ط1، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، 1993 .

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764 هـ /1363م) **الوافي بالوفيات**، تحقيـق أحمـد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت 2000 .

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، **تاريخ الرسـل والملـوك**، ط2، دار التراث، بيروت 1977 .

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت257 هـ /871م) **فتوح مصر والمغـرب**، مكتبـة الثقافة الدينية، القاهرة 1995 .

ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت328 هـ /940م) **العقد الفريـد**، ج5، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1984 .

أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت224 هـ /839م) **الأمـوال**، تحقيـق محمـد حامـد الفقـي، القاهرة د.ت .

ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلـي (ت660 هـ /1262م) **بغيـة الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق 2000.

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت571 هـ /1176م) **تاريخ دمشق**، تحقيق عمـرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت 1995 .

العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن محمـد (852 هـ /1448م) **الإصـابة فـي تمييـز الصحابة**، ط1، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معـوض، دار الكتـب العلمية، بيروت 1995.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت395 هـ /1004م) **معجم مقـاييس اللغـة**، ط1، ج2، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت 1979.

أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت732 هـ /1331م) **المختصـر فـي أخبـار البشـر**، ط1 ، المطبعة الحسينية، القاهرة 1990 .

الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان (ت277 هـ /890م) **المعرفة والتـاريخ**، ط2، تحقيـق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276 هـ /890م) **الإمامة والسياسة،** تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت 1997 .

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276 هـ /889م) **المعارف،** ط2، تحقيق ثروت عكاشة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992 .

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت821 هـ /1418م) **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،** ط2، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، بيروت 1980 .

القلقشندي، أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،** المطبعة الأميرية، القاهرة 1917 .

القرشي، يحيى بن آدم (ت203 هـ /818م) **كتاب الخراج،** مطبعة بريل، ليدن 1895 .

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب(ت751هـ/1350م) **أحكام أهل الذمة،** ط1، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام 1997 .

الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت764 هـ /1363م) **فوات الوفيات،** ط1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1973.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774 هـ /1374م) **البداية والنهاية،** ط1، تحقيق علي شيري دار إحياء، التراث العربي، 1988.

ابن الكلبي، محمد بن السائب (ت146 هـ /763م) **جمهرة النسب،** تحقيق ناجي حسين، عالم الكتب، بيروت 1986 ص56.

ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر (ت475 هـ /1082م) ال**إكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت1990 .

المالكي، أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله (ت453 هـ /1061م) **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقيا**، ط1، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1951 .

المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (ت286 هـ /899م) **الكامل في اللغة والأدب**، ط3، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة 1997.

المقدسي، مطهر بن طاهر (ت355 هـ /966م) **البدء والتاريخ**، ج6، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د. ت.

المقريزي، أحمد بن علي (845 هـ /1441م) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت 1997 .

المرصفي، سيد بن علي الأزهري (ت1349 هـ /1931م) **رغبة الأمل من كتاب الكامل**، مكتبة الأسد، طهران 1970 .

المسعودي، علي بن الحسين (ت346 هـ /957م) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1988.

المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت346 هـ /957م) **التنبيه والإشراف**، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة د. ت .

مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421 هـ /1030م) **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، ط2، ج2، تحقيق أبو القاسم إمامي، الناشر سروش، طهران 2000 .

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711 هـ /1311م) **لسان العرب**، ط3، دار صـــادر، بيروت 1994.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (ت711 هـ /1311م) **مختصر تـــاريخ دمشـــق لابـــن عساكر**، ط1، تحقيق روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمـــد مطيـــع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق .

المنقري، نصر بن مزاحم (ت212 هـ /827م) **وقعة صفين**، تحقيق عبـــد الســـلام هـــارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1987 .

ابن نباتة، محمد بن محمـــد الجـــذامي الفـــارقي المصـــري (ت768 هـــ /1366م) **ســـرح العيون**(شرح رسالة ابن زيدون) د.ن، د.م .

النويري، شهاب الدين أحمد (ت 733 هـ /1232م)، **نهايـــة الأرب فـــي فنـــون الأدب**، ط1، تحقيق مفيد قمحية وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت 2004 .

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت213 هـ /828م) **السيرة النبوية**، ط1، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت 1991 .

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف (ت334 هـ /945م) **صفة جزيرة العـــرب**، مطبعة بريل، ليدن، 1884 .

اليعقوبي، أحمد بن اسحق (ت292هـ/905م) **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت 1970.

قائمة المراجع

إحسان، عباس، **شعر الخوارج**، ط3، دار الثقافة، بيروت 1974 .

اسماعيل، محمود، **الحركات السرية في الإسلام (رؤية عصرية)**، ط1، دار القلم، بيروت 1973.

ارنولد، توماس، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة حسن إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، 1971 .

أمين، أحمد، **ضحى الإسلام**، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1964 .

أمين، أحمد، **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت 1969 .

بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، دار العلم للملايين، بيروت 1968.

البعلي، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي، **كتاب الفتاوى**، راجعه وحقق نصوصه عبد المجيد سليم، ط1، دار الجيل، بيروت 1949 .

بيضون، إبراهيم، **ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري**، دار النهضة العربية، بيروت 1979 .

جمعة، فاطمة، **الاتجاهات الحزبية في الإسلام**.

جورجي، زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي**، ج5، مطبعة الهلال، القاهرة 1919 .

حميد الله، محمد، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، ط3، مصر 1969 .

الدجيلي، حسن مجيد، **إيران والعراق خلال خمسة قرون**، ط1، دار الأضواء، بيروت 1999.

الزركلي، خير الدين بن محمود (ت1396ه/1976م) **الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، 2002 .

صالح، أحمد عباس، **اليمين واليسار في الإسلام**، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1973 .

ضيف، شوقي، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، ط6، دار المعارف، القاهرة .

عبد الوهاب، لطفي، **العرب في العصور القديمة**، ط3، دار المعرفة الجامعية، القاهرة 2000.

العقيلي، عمر، **قيام الدولة الأموية وموقف أقاليم الجزيرة العربية منها**، مقالة ضمن كتاب دراسات تاريخية، ج1، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض 1993 .

فروخ، عمر، **تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية**، دار العلم للملايين، بيروت 1970 .

القرضاوي، يوسف، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ط1، مكتبة وهبه، القاهرة 1977 .

كلود كاهن، تا**ريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية** نقله إلى العربية بدر الدين قاسم، دار الحقيقة، بيروت 1977 .

متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،.

محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي.

مروة، حسين، **النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية**، دار الفارابي.

المنجد، صلاح الدين، **معجم بني أمية**، دار الكتاب الجديد، بيروت 1970 .

هنتس، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، 1970 .

يوليوس فلهاوزن، **الخوارج والشيعة**.

ي، م، بليابيف، **العرب والإسلام والخلافة العربية**، نقله إلى العربية أنيس فريحة، راجعه وقدّم له محمد زايد، الدار المتحدة للنشر، بيروت 1973.

Abstract

The beginning of "ALkhawarej" is not agreed upon، but old and modern scholars agreed that of "ALkhawarej" as areligious movement and political party began effectively through the judgement incident after " ALnahrawan " battle which was headed by Ali Ben Abi Taleb.

"ALkhawarej" into various groups estimated by group writers to divided so، the disagreement between those groups was not in serious subjects which lead to separation and making independent group on the opposite، most of their disagreements were mostly about minor matters، some of the most important groups were " ALmuhakima، ALazareqa، ALnajdaat، ALsufreeah، ALabadiah، ALajaredah.

When Abd ALmalik Bin Marwan became a caliph، he sent a campaign against Musab Bin ALzubair – the ruled of AL Iraq – by his brother Abdullah Bin ALzubair who defeated his brother.

In 72 A.H/691A.D the caliph killed Abdullah Bin ALzubair and ended his power، the caliph got people loyalty to them، even though of "ALkhawarej" reamed troublesome to the Umayyad state.

So this study has come to focus on of "ALkhawarej" as a research subject which is taught not only politically، but also economically and socially.